صحبة الرسول ﷺ بين المنقول و المعقول

محمد على النجفى

بسم الله الرحمن الرحيم

صحبة الرسول صلى الله عليه وآله

بين المنقول والمعقول

بقلم
الشيخ محمّد علي النجفي

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

نجفی، محمدعلی
صحبه الرسول صلی‌الله‌علیه‌وآله بین المنقول و
المعقول/ بقلم محمدعلی النجفی.— تهران: مشعر،
۱۳۸۳.
۱٤٤ ص.
ISBN 964-7635-51-6: ۶۰۰۰ ریال
فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا.
عربی.
۱.درویش، صالح، Darwish, Salih ibn Abdallah
. صحبه رسول الله (ص) -- نقد و تفسیر. ۲.صحابه.
۳.صحابه -- فضایل. ٤.صحابه در قرآن. ۵.غزوات.
الف.درویش، صالح، Darwish, Salih ibn Abdallah
ب.عنوان: صحبه رسول الله (ص). شرح. ج.عنوان.

۲۱۷/۲۹۷ BP۲۲۳/۲/ ۳ص‌ع‌ج ۲۹۷/٤۷۸

کتابخانه‌ملی‌ایران ۲۰۵۳-۸۳م

صحبة الرسول ﷺ بين المنقول والمعقول

المؤلف	الشيخ محمدعلي النجفي
الناشر	دارالمشعر
الطبعه	الاولى
المطبعة	دارالحديث
تاريخ النشر	١٤٢٥ - هـ. ق
عدد المطبوع	١٠٠٠ نسخة
الثمن	٦٠٠ تومان

شابک: ISBN: 964 - 7635 - 51 - 6

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين؛ والصلاة على أشرف المرسلين محمّد وآله الطيبين الطاهرين؛ وعلى أصحابهم الأوفياء وأولياءهم الأبرار.

أمّا بعد: فقد وقفتُ على رسالةٍ صغيرةٍ من تأليف الشيخ صالح بن عبد الله الدرويش، القاضي في المحكمة الكبرى بالقطيف، وكان موضوعها «صحبة رسول الله ﷺ» ولم يكن العزم على كتابة ردّ عليها، وتوضيح لما ورد فيها من مغالطات مقصودة أو غير مقصودة، وما فيها من تجاوزات نقليّة وعقليّة، ولكن لسوء الوضع الراهن الذي نعيشه من حيث الهجوم المتصاعد على الإسلام، وبشتّى وسائل الإعلام المتيسّرة للمهاجمين، سعياً في إطفاء نور الله المتمثّل في نور الرسول الكريم وأهل بيته ﷺ وجدتُ من اللازم عليَّ أن أكتبَ ما يوجب كشف مغالطاته في حقّ الصحابة، وردّ مزاعمه في حبّهم والدفاع عنهم، فكانت هذه الرسالة على العجالة، كتبتُها راجياً أن تسدّ رَأْبَ ما صدعه هذا

الكاتب وأمثاله. جعلها الله في صحيفة أعمالي يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

حقيقة الصحبة وتعريف الصحابي:

اختلف في المراد بالصحبة للنبيّ ﷺ على أقوال كثيرة، ولنذكر المهمّ دون إشباع له؛ فهو موضوع طويل جدّاً، ولكن توصّلاً إلى المراد ممّا يفي بالنّتيجة المطلوبة من البحث؛ نقول:

الصحبة في اللغة:

قال في القاموس[1]: ..صَحِبَه كسَمِعَه صَحَابَة وصُحْبَةً: عاشره، وهم: أصحاب وأصاحيب وصحبة وصَحْب، واستصحبه دعاه للصحبة ولازمه.

وفي المعجم الوسيط[2]: صحبه أي رافقه، والصاحب المرافق، واستصحبه جعله صاحباً له، ولزمه، ودعاه إلى الصحبة.

الصحبة في الاصطلاح:

لم يزد بعضٌ ممَّن عرَّف الصحبة على المعنى اللغوي، فقال بأنَّ الصحبة في الاصطلاح هي نفسها ما كانت عليه عند اللغويين.

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي: ١ / ٩١.

(٢) المعجم الوسيط، لمجموعة من الاختصاصيين: ١ / ٥٠٧.

وبعض قال باختلافهما، وهؤلاء بين مضيقٍ لدائرة الصحبة، وبين موسِّع لها.

والشاهد على ذلك ما ذكره ابن الأثير في جامع الأصول[1] قال: ثمَّ الصحبة من حيث الوضع تنطبق على من صحب النبيﷺ ولو ساعةً، ولكنَّ العرف يخصِّص الاسم بمن كثرت صحبته، ولاحدَّ لتلك الكثرة بتقدير، بل بتقريب[2].

وإليك بعض آرائهم في ذلك:

١ ـ تعريف السمعاني؛ كما حكاه ابن الصلاح في مقدمته[3]: من طالت مجالسته مع النبيﷺ على طريق التبع والأخذ، بخلاف من وفد إليه وانصرف بلا مصاحبة، قالوا: وذلك معنى الصحابي لغةً[4].

وهو ضعيف؛ لكون طول المكث مؤثراً في المنزلة والاختصاص به أكثر من غيره ليس إلّا، علاوةً على مخالفته لمعناهااللغويّ.

٢ ـ ما عن سعيد بن المسيب: من أنَّه لم يكن يعدّ صحابياً

---

(١) جامع الأصول لابن الأثير الجزري: ١ / ٧٤.

(٢) ذكر هذا المعنى عن جامع الأصول: الشيخ المامقاني: مقباس الهداية: ٣ / ٢٩٧.

(٣) ابن الصلاح في المقدمة: ص ٤٢٣.

(٤) حكاه عنه في مقباس الهداية: ٣ / ٢٩٦.

إلا من أقام مع رسول الله سنةً أو سنتين، وغزا معه غزوةً أو غزوتين[1].

وسيأتي أنَّ هذا معنى استعماليّ للصحبة وليس تعريفاً حدّيّاً له.

٣ ـ الصحابي من طالت صحبته وروى عنه، حكي عن جماعة.

فيخرج به من قلَّت صحبته، وقلَّ مكثه مع النبي ﷺ.

٤ ـ أنَّه من رآه بالغاً، وقد حكاه الواقدي.

فيخرج من كان قد رآه مميزاً قبل بلوغه، ومات النبي ولمَّا يبلغ.

٥ ـ أنَّه من أدرك زمنه وهو مسلم، حكي عن ابن عبد البر وابن منده.

فيشمل هذا كلّ من أدرك زمنه وهو مسلمٌ وإنْ لم يره، وإنْ مات بعد ذلك على غير الإسلام.

٦ ـ أنَّه من اختصَّ بالرسول واختصَّ به الرسول ﷺ وهذا أضيق التعاريف؛ لخروج الكثير من الصحابة بذلك عن كونهم صحابةً.

---

(١) حكاه عنه في مقباس الهداية ٣ / ٢٩٧ ؛ وذكره في الباعث الحثيث: ٢٠٣، شرح الألفيّة للسخاوي: ٣ / ٩٤.

٧ ـ أنّه كلّ مسلم رأى النبيّ ﷺ.

وهذا هو المنقول عن البخاري[١]، فتشمل كلّ من رآه مسلماً ولو لم يصحبه، أو مات على غير الإسلام.

وهذا ممّا لا يمكن الالتزام به قطعاً.

والواقع أنّه لم يسلم أيٌّ من هذه التعاريف عن الإشكال، بعدم المانعيّة في بعض منها، أو عدم الجامعيّة في آخر، كلزوم خروج بعض من ثبتت لهم الصحبة عن كونهم من الصحابة كجرير بن عبد الله البجلي.

ويلزم منها ـ أيضاً ـ خروج مثل ابن أمّ مكتوم، الذي كان كفيفاً، مع أنّه مسلَّم الصحبة، أو من أسلم ثمّ ارتدّ ومات على الردَّة، كعبدالله بن جحش وعبدالله ابن خطل.

كما يلزم على مثل تعريف سعيد بن المسيب و أصحاب الأصول خروج جويبر ابن عبد الله؛ فإنّه ممّن لم يطل مكثه مع النبي ﷺ ولم يغزُ معه غزوةً قطّ، مع أنّه معدود في الصحابة.

وعلى كلّ حال، فقد مات النبيّ ﷺ عن مائة وأربعة وعشرين ألفاً ممّن يعدُّ صحابياً، وعلى ما سلف من تعريفاتهم يلزم خروج الكثير ممَّن عدَّ صحابياً.

فلابدَّ إذن من اشتراط اللقاء كما فعل الشهيد، والسيّد علي

---

(١) حكاه عنه جماعةٌ بل ادعي أنّه المشهور والمعروف بين المحدثين، ومفاده الرؤية ولو للحظة، حتى لو لم يَرْوِ عنه ﷺ شيئاً.

خان صاحب الدرجات الرفيعة، فقد عرَّف الصحابيّ بأنَّه: من لقي النبيّ ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام، ولو تخلّلت ردّته بينهما[1].

الصحبة في الاستعمال:

لعلّ الكثير من التعاريف التي مرَّت علينا هو في واقعه توضيح لما استعمل من المفهوم عند الصحابة أنفسهم، إما بتضييق وإما بتوسعة له، لا أنَّه تحديد منطقي لمفهومها.

ومن نماذج استعمال الصحبة في معنى أضيق دائرةً: ما ذهب إليه أنس بن مالك من أنَّ رؤية النبيّ ﷺ غير كافيةٍ في اعتبار الرجل صحابيّاً، فقد سئل: هل بقي من الصحابة غيرك؟ فقال: بقي أناسٌ من الأعراب، أمَّا الصحبة فلا[2].

كما مرَّ نقل اشتراط سعيد بن المسيب لكي يكون الرجل صحابياً أنْ يقيم مع رسول الله سنةً أو سنتين أو أن يغزو معه غزوةً أو غزوتين[3].

ولكنَّ السمعانيّ ألغى اعتبار زمنٍ محدَّدٍ لمعنى الصحبة أكثر

(١) الدرجات الرفيعة للسيد علي خان المدني: ص ٩.

(٢) مقدمة ابن الصلاح: ص ١١٨ ـ ١١٩.

(٣) المصدر السابق.

ممَّن سبق فقال: أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحبة على كلٍّ من صحب النبيّ شهراً أو يوماً أو ساعةً أو رآه.

ولكنَّ أحمد بن حنبل ضيَّق ذلك المعنى فقال: أصحاب رسول‌الله كلّ من صحبه وروى عن النبيّ ولو حديثاً أو كلمة (١).

فإنَّ بين هذا التعريف، وما ذكره السمعاني، عموماً مطلقاً، والوجه اشتراط أحمد بن حنبل الرواية، وهي فرع الرؤية طبعاً.

ولكنَّ الغزالي قال: لاينطبق اسم الصحبة إلّا على من صحبه... إلى أن قال: ولكنَّ العرف يخصّصه بمن طالت صحبته.

وقال ابن حجر العسقلانيّ ـ بعد أن ناقش التعريفات السابقة ـ: أصحّ ما وقفتُ عليه في تعريف الصحابيّ أنَّه من لقي النبيّ مؤمناً به، ومات على الإسلام(٢).

و أمَّا ما اختاره هذا الكاتب الذي نحن بصدد المناقشة لما كتبه؛ فالصحابي عنده: من آمن بالنبي صلّى الله عليه (وآله) وسلّم، وصحبه ولو لفترةٍ من الزمن ومات على ذلك، وأمَّا طول الصحبة فهو يؤثّر في المنزلة ليس إلّا(٣).

وهذا قريبٌ جدّاً من تعريف ابن حجر العسقلانيّ في اعتبار

---

(١) جامع الأصول لابن الأثير: ١ / ١٣.

(٢) مقدمة كتاب نقعة الصديان فيمن في صحبتهم نظر؛ للصاغاني، عن كتاب الإصابة: ١ / ١٠.

(٣) صحبة رسول اللّه (ص): ص ٥.

الايمان بالنبيﷺ والموت على ذلك.

وأمّا ما تُعرَفُ به صحبة الصحابيّ ومايثبت له تلك الصفة، فهي: الاجماع، أو التواتر، أو الشهرة.

ولا بأس بالتعليق على ما عرّف به هذا الكاتب للصحابيّ، فنقول:

قد اشتمل تعريفه للصحابيّ على أمور:

الايمان بالنبيّ، والصحبة له، والموت على ذلك، وطول الصحبة مؤثّر في المنزلة.

فأمّا الإيمان بهﷺ:

فهو شرطٌ مهمّ وأساسٌ في الصحابيّ، ولكن لابدَّ من إدامة هذا الايمان، ولعلّ الكاتب التفتَ إلى هذا فقال بعد ذلك: ومات على ذلك.

وأمّاالصحبة له:

فهي جزء الموضوع، لتحقّق معنى الصحابيّ لغةً في من يرافقهﷺ بل تمام الموضوع في من يصحّ له ادعاء ذلك.

وأمّا الموت على ذلك:

فإنْ كان يقصد الموت على الايمان بالنبي ﷺ فهو المطلوب لنا أيضاً، وهو تامّ، وإنْ كان مقصوده الموت على الصحبة فهو ممّا لادليل عليه في الصحابي، بل الكثير منهم قد هاجر ورجع إلى وطنه، أو أرسله النبي ﷺ إلى بلد ولم يرجع عنه، فهل يخرج عن

كونه صحابياً؟ كلّا وألفُ كلّا.

بقي أمرٌ:

وهو أنَّ تخلّل الردّة بين الإيمان والموت. هل يكون مخلاً بالصحبة أم لا؟

ظاهر الجمهور عدم ذلك. فلو آمن بالنبيّ، ثمَّ ارتدَّ، ثمَّ رجع وحسن إسلامه وإيمانه عُدَّ صحابيّاً. ولم يرتفع عنه معنى الصحبة؛ على تردّدٍ في هذا لمعارضته لبعض الآيات والروايات أوّلاً. ومن حيث صدق الصحبة ثانياً.

نعم، لو قيل بأنّه لم ينتفِ معنى الصحبة عنه حتى يحتاج إلى البحث في صدقه أمكن ذلك.

وأمّا بالنسبة إلى الرواية عنه ﷺ: فلم يشترطه هذا الكاتب ـ وهو الحقّ ـ فإنَّ الرواية عن النبيّ ليست فصلاً مقوّماً لمفهوم الصحبة حتى يدَّعى عدم تحققه بدون هذا الفصل. بل يمكن عدّ الرجل صحابياً وإن عدَّ فيمن لم يروِ عنه ﷺ.

والأمر الأخير المتبقي حول التعريف هو اشتراط الاختيار في ذلك؛ فلو كان مضطراً أو مكرهاً على الإيمان. لم يتحقّق منه أهمّ شرط في الصحبة. وإن تحقّقت صحبته للنبيّ ﷺ بمعناها اللغوي أو الاصطلاحي على بعض التعريفات السابقة.

وكذا يخرج عن تعريفه عند من يشترط في التعريف الإيمان عن معرفة بشخص النبيّ، فمن آمن به وصحبه دون معرفة له على

أنّه نبي الله محمّدﷺ الذي أرسله الله للخلق كافّة. فهو ليس بصحابيّ، على هذا.

وأمّا عدم اشتراط الرؤية من قبل الكاتب:

فهو إمّا لالتفاته لدخول ذلك في لفظ الصحبة. وإمّا لإهماله لهذا الشرط.

ولكن لا يخفى أنَّ الاكتفاء في تحقّق الصحبة بكلّ من آمن بالنبيّ، وإن لم يره ـ أي مع عدم اشتراط الرؤية ـ يوسّع دائرة الصحبة لمثل من آمن به ولو في بلد آخر. فاشتراط رؤية النبيّ أمرٌ مهمٌّ في ثبوت الاتّصاف بالصحبة. وإلّا فمن آمن به ولم يره، أقوامٌ كثيرون يعدّون بالآلاف. إمّا لعدم قصدهم لرؤيته، وإمّا لتعذر ذلك عليهم. وإمّا لتوجّههم لاشتراط رؤيته. ولكنّهم لم يوفّقوا لذلك، كما نقل عن أبي ذؤيب الهذلي حيث رأى النبيّ بعد موته وقبل دفنه[1] فلم يعدّ من الصحابة، وإمّا لعدم كونهم من أهل عصره أصلاً، كالتابعين ومن تلاهم. فكلّ من جاء بعد موت النبيﷺ ممّن آمن به ينطبق عليه هذا المعنى، مع عدم صدق الصحبة.

ثمّ إنَّ اشتراط الإيمان مهمٌّ باعتبار آخر وهو: أنَّ ذلك يُخرج من دخل في الدين خوفاً من السيف، أو من دخل فيه رغبةً في المال أو الجاه، وليس إيماناً بالدين. ولعلّ في بعض الروايات

---

(١) الدرجات الرفيعة: ص ٦.

المشيرة إلى أسباب الهجرة توضيحاً لهذا المعنى، كقوله: «فمن كانت هجرته إلى دنياً يصيبها، أو إلى امرأة يحبّها، فهجرته إلى ما هاجر إليه..»[1] فهذه العبارة من الرسول ﷺ وإن كانت في مقام بيان الهجرة المطلوبة وهي الهجرة إلى الله فقط، لكنّها تبيّن لنا ـ من منظور آخر ـ مطلوبيّة الإيمان بالدين من أوّل عمره إلى آخره، ولذا فيمكن التشكيك في صحبة مَن آمن بالنبيّ مدَّة حياته وانقلب بعد موته ﷺ وأظهر ما كان مُخفياً له من أمارات النفاق والجحود بالدين وبأوامره ونواهيه.

والأمر المهمّ الذي ندّعيه ـ كما سيأتي مع أدلته ـ هو أنَّ الصحبة تمثّلت في الصحابة بصورتين وفي فئتين منهم:

١ ـ صورة تحكي واقع أولئك الصحابة وهي أنّهم أطاعوا النبي في كلّ شيء وسلّموا له في أوامره ونواهيه، فهؤلاء هم الذين وردت فيهم الآيات المادحة والروايات المعرِّفة لهم بصفات مخصوصة[2] والمبيّنة لمقاماتهم عندالله عزَّوجلَّ.

٢ ـ صورة تحكي واقعاً مزيَّفاً، وملبّساً بقناع يخفي وراءه الكثير من الحوادث التي صدرت منهم بعد وفاته ﷺ والتي أخبر

---

(١) صحيح البخاري: ١ / ٣، ٢٠٣٠، ٢ / ٨٩٤، ٣ / ١٤١٦، ٦ / ٢٤٦١ وغيره من المصادر الحديثيّة.

(٢) ففي تعبير القرآن دقَّة بالغةٌ حينما عبَّر بـ ﴿والذين معه﴾ ولم يقل صحبوه أو من صحبه... فتأمل!

بها النبيّ ﷺ وحذّر من الوقوع فيها، بل حذّر القرآن منها في بعض آياته، قال تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُم وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾[2].

وقالﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[3].

وعليك بالتتبع لروايات إخبارات النبيّﷺ بالمغيّبات، وبآخر الزمان، وستجد الكثير ممّا حدّثناك عنه موجوداً في طيّات تلك الصفحات، والتي لم يرغب هذا الكاتب أن يكشف الستار عنها خوفاً من ظهور ما لايمكنه الجواب عنه، فيقع في ما لاتحمد عقباه.

وأهمّ أمرٍ نمنع من تحقّقه كلازم للصحبة ـ وهو مدّعى الكاتب ـ أن تكون الصحبة بنفسها عاصمةً لمن وُصِفَ بها.

وسوف نسرد للقارىء المحترم لاحقاً مجموعة من أسماء الصحابة ممّن لم يحسن الصحبة في حياة النبيّﷺ فضلاً عمّا صدر

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) الفتح: ١٠.

(٣) صحيح مسلم: ١ / ٨٢ رقم ٦٥ ـ ٦٦، صحيح البخاري: ١ / ٥٦، ٢ / ٦١٩، ٤ / ١٥٩٨، مجمع الزوائد لنور الدين الهيثمي: ٦ / ٢٨٤ وقال: رواه أحمد، رجاله رجال الصحيح.

منهم بعد وفاته[1].

وعلى كلّ حال، فما ذكره من معنى للصحبة لايمكن الالتزام به على إطلاقه، بل حتّى الكاتب نفسه لو التفتَ وتأمّل في ما عرَّف به الصحابيّ، لتوجَّه لما يلزم عليه من ذلك فتخلّى عنه.

فالصحابيّ ـ عندنا ـ من رأى النبيّ ﷺ وآمن به وصدَّقه في كلّ ما جاء به، وسلَّم بكلّ أوامره ونواهيه قلباً واعتقاداً وعملاً مدَّة حياته ومات على ذلك.

ومن أهمّ أوامره، والذي ما فتيء يكرّره حال حياته، هو التمسّك بولاية أمير المؤمنين ويعسوب الدين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

كما أنَّ من أهمّ نواهيه منعه عن مخالفة أمير المؤمنين، و الانحراف عن بيعته وجادَّته، فإنَّه عليه السلام مع الحقّ والحقّ معه، كما نطقت بذلك النصوص النبويَّة المستفيضة إن لم تكن متواترة[2].

---

(١) وللتوسع في هذا البحث: ارجع لكتاب الدرجات الرفيعة للسيد علي خان المدني، وكتاب النص والاجتهاد للسيد شرف الدين، وكتاب في رحاب العقيدة للسيد محمد سعيد الحكيم، وغيرها من الكتب المبسوطة في هذا المجال.

(٢) سنن الترمذي: ٥ / ٢٩٧ حديث ٣٧٩٨، مجمع الزوائد: ٧ / ٢٣٥، المستدرك: ٣ / ١١٩، ١٢٤، تاريخ دمشق لابن عساكر: ٣ / ١١٩ حديث ١١٦٢، كنز العمّال للمتقي الهندي: ١١ / ٦٠٣ حديث ٣٢٩١٢، تاريخ بغداد: ١٤ / ٣٢١، فرائد السمطين: ١ / ١٧٦ ـ ١٧٧، وغيرها من المصادر.

هذا كلُّه من جهة أصل معنى الصحبة لغة واصطلاحاً.

وأمَّا من جهة أثر الصحبة؛ فنحن الشيعة الإماميَّة نعتقد بأنَّ ذات الصحبة للنبيِّ ﷺ ليست موجبةً لإثبات صفة مدح لم تكن متحقّقةً في الشخص بدونها، وكذلك الصحبة لاتوجب نفي ما أُلصِقَ بالشخص ممَّا دلَّت الروايات عليه [1].

وهذا هو القول النصَفُ الذي يأخذ الحقَّ ممَّن ظلمه، حيث نُسِبَت الصحبة لمن لم تتحقّق فيه، حيث قد وُجِدَ الكثيرُ ممَّن ادعي له المصداقيَّة للصحبة، ولم يكن كذلك، أو كان منهم ثمَّ بَانَ عنهم بأنْ أساء الصحبة ولم يحترم حقَّ العِشْرَة مع النبي ﷺ في حياته أو بعد مماته ﷺ.

إذ أنَّ ممَّن ادّعيت له الصحبة من ثبت ارتداده عن الدين بعد أن تَدَيَّنَ به، وهم كثر، وليس ذلك ممَّا يدعو للعجب، إذ أنَّ من بين الصحابة ـ على ما عرَّفوا به الصحابيّ الذين يعدّون بالآلاف ـ من ليس مصوناً عن السُنَن التاريخيَّة أو الاجتماعيَّة، أو معصوماً عن الآثام النفسيَّة للإنسان ككائن بشريّ قد تغلب عليه النفس الأمَّارة بالسوء، ويغلب عليه هواه، وحبُّهُ الجاهَ والسلطانَ لأن يرتكب ما يخالف أوامر الرسول ﷺ ونواهيه، والشواهد على

---

(١) ولا شكَّ أنَّ الكثير من الأصوليين ـ من علماء العامَّة ـ يرون هذا الرأي في قول الصحابي، وإن كان هناك شرذمة منهم مثل ابن حزم وابن تيميَّة يرون أنَّ كل الصحابة على صواب، وأنَّ قولهم حجَّة مطلقاً.

ذلك كثيرة من الصحاح فضلاً عن كتب التاريخ والسيرة.

وبعد هذه المقدمة ندخل في البحث ضمن نقاط:

النقطة الأولى: بعد أن استفتح الكاتب موضوعه ببضع آيات من الكتاب العزيز ذكر أنَّ الآيات صريحةٌ في التلازم بين الرسول الكريم وأصحابه، من حيث تبيينها لوظيفة الرسول بين صحبه، وهو قد قام بها أفضل قيام، وعلَّمهم وربَّاهم أفضل تربية[1] فلا شكَّ وأنَّ المتربّين تحت يده، والمتعلّمين بتعاليمه سيكونون أفضل الناس بعده ﷺ.

ولنقرأ معاً هذه الآيات، لنرى هل أنَّ في شيءٍ منها إشعاراً، فضلاً عن التوصيف، فضلاً عن الدلالة على ما يدعيه هذا الكاتب، من تلازم أم لا؟

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابعَثْ فِيهِم رَسُولاً مِنْهُم يَتْلُو عَلَيْهِم آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُم الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِم إنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيم﴾[2].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِينَ رَسُولاً مِنْهُم يَتْلُو عَلَيْهِم آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُم الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِين﴾[3].

---

(١) صحبة رسول الله ﷺ: ص ٥ ـ ٨.

(٢) البقرة: ١٢٩.

(٣) الجمعة: ٢.

فما ترشد إليه هذه الآياتُ هو أنَّ الله بعث النبي ﷺ لتعليم الناس ولتزكيتهم وتربيتهم، فهو بيانٌ للغاية من البعثة، ولا يختصّ ذلك بخصوص الصحابة. فليس فيه ما ادّعاه الكاتب من التلازم بين الرسول كمعلِّم والصحابة كمتعلّمين، بتوسط تحقّق تلك الغاية فيهم، بل فيها دلالةٌ على عكس مدّعاه ومطلوبه، وهو أنَّهم قبل مجيء النبيّ ﷺ وقبل تعليمهم كانوا في ظلمات الجهل والضلال، ولكن بعد أن علَّمهم النبيﷺ ما ينبغي لهم العلم به، وما ينبغي لهم عمله؛ هل اهتموا جميعاً لِمَا أمر بهﷺ؟ وهل اتّبعوه؟ وهل خرجوا من الضلال إلى الهدى بأجمعهم؟.

هذا ما لاتتحدّث عنه تلك الآيات، ومن كان له مسكة من عقلٍ يتوجّه إلى عدم الملازمة بين أن يكون المعلّم كاملاً، وبين أن يكون المتعلّمون استفادوا مما علَّمهم. والوجدان قائمٌ على ذلك.

وإلّا فلو تمَّت تلك الملازمة لحكمنا بتزكية كلِّ الأمم والشعوب التي سبقت ملَّتنا، إذ أنَّ الأنبياء ـ قبل نبيِّناﷺ ـ قد أرسلوا إلى أقوامهم ليعلِّموهم وليقوموا بتزكيتهم.

ولكنَّ هذا اللازم واضح البطلان كما لا يخفى.

وعلى هذا، فلا ربطَ بين ثبوت كلّ تلك الصفات للنبي ﷺ وبين عدم ثبوتها لمن كان معه من الناس؛ ممَّن قد يتوجّه لتعاليمه، وقد لايتوجَّه لها، لعارض أو لمانع. ولو كان المانع هو عدم الرغبة

فيها. فقد ورد عن بعضهم اشتغالهم بالصفق في الأسواق، فقد روى البخاري عن أبي هريرة: «إنَّ إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإنَّ إخواننا من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم»[1]. وفي أخرى: «كان يشغلهم صفق بالأسواق»[2] وفي ثالثة مثلها[3] ورابعة كذلك[4] وفي خامسة عن أحمد في مسنده[5] وفي سابعة «من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم في الأسواق، من الأنصار كانت تشغلهم أرضوهم والقيام بها»[6].

إذن، فإمّا أن ينكروا هذه الروايات، ويلزم منه أحد أمرين:

١ ـ أن يردّوا بعض ما اتّفق على صحّته، وهو ما وجد في صحيح البخاري ممّا يرويه هذا الراوي، ولم يكن معلّقاً. وهذا يفتح الباب على مصراعيه للتشكيك والردّ لكثير من روايات البخاري.

٢ ـ أن يمنعوا صدور مثل هذه الروايات عن أبي هريرة.

(١) صحيح البخاري: كتاب العلم، حديث ١١٥.

(٢) المصدر السابق، كتاب البيوع، حديث ١٩٠٦.

(٣) المصدر السابق، كتاب المزارعة، حديث ٢١٧٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، حديث ٦٨٠٧.

(٥) مسند أحمد، باقي سند المكثرين، حديث ٦٩٧٦.

(٦) المصدر السابق.

وهذا أيضاً يفتح الباب للتشكيك في الكثير من مرويّات هذا الرجل[1].

فليس باختيار الكاتب أن يمنع أو أن يُثبت ما شاء له قلمه أو مِقَصُّ رقابته. وقد اتفق العلماء، وممَّن يعتمد على قوله منهم، على صحَّة كلّ ما رواه البخاري في صحيحه، مما لم يُعَلِّقْهُ، ووجوب العمل به. فهو إلزام لهم بما لامفرَّ منه.

وإمَّا أن يعتقدوا بصدور هذه الروايات، ويتمُّ الحفاظ على مرويّات البخاري ،إلاّ أنَّها ستكون مبتلاة بهذا الإشكال، وهو انشغال الصحابة عن النبي ﷺ وعن تعاليمه. فيثبت مدَّعانامن

(١) وفي الواقع ما فتيء أرباب البحث والتحقيق من العامة والخاصة يوماً فيوماً يظهرون المزيد من غوامض حياة هذا الرجل. ولقد بيَّن بعضها قبل ثلاثين عاماً الشيخ محمود أبو رية في كتابه شيخ المضيرة وسبقه السيد عبدالحسين شرف الدين. وتلاهما الكثير ممَّن تتبع أثر هذا الصحابي. وفي هذه الأيام وصلت بأيدينا رسالة لمؤلف مغربي وهو الدكتور مصطفى بو هندي. واسم الرسالة «أكثر أبوهريرة» شكَّك فيه ثبوت أصل صحبته للنبي بروايات من قِبَلِهِ نفسه. وأنَّه كان قد سافر إلى طور سيناء للقاء كعب الأحبار فتلا عليه أموراً من التوراة. وهذا يوجب التشكيك فيما يرويه عن النبي، خاصة، وأنَّه كان يهودياً، وكعب الأحبار لم تخرج اليهودية من قلبه كذلك، بشهادة الخليفة الثاني. ولعله أظهر الأسلام ليكيد له. بل ما تكشف عنه كلماته وآثاره، وكلمات أمير المؤمنين وأبي ذرّ وغيرهم من الصحابة حيث يصمونه بابن اليهودية وباليهودي. وفي هذا أكبر دليل وموجب للتشكيك في مرويات هذا الرجل وصاحبه !! خاصة الروايات الإسرائيليَّة.

عدم توجّههم إلى تعاليم النبي ﷺ[1].

وكذا يلزم عليهم ما ندّعيه في المقام من عدم الملازمة بين ما بُعث لأجله النبي ﷺ وما أدّاه من وظيفة، وبين التزامهم بتعاليمه ﷺ فيثبت مدّعانا من عدم التزام الكثير منهم بتعاليمه، بل عدم مداومة حضورهم عنده للتعلّم والاستفادة من علمه ﷺ والأخذ عنه ﷺ.

ثمّ ما الذي يقصده من قوله: «**نصوص صريحة**»؟

فأيّ صراحة فيها؟ وليس من حجّة عند العقلاء إلّا النصوصيّة أو الظهور، والفرض أنّها ليست نصّاً في المدّعى، كما لايدعيه هو، فإنّ النصّ ما لايقبل التأويل، ولا ظهور ـ أيضاً ـ فإنّ الظاهر منها ما ذكرناه آنفاً، وما عداه يحتاج إلى قرينة معيّنة، أوصارفة عن غيره، وأنّى له هذا!!؟ إن كان يتكلّم على طريقة العرف في محاوراتهم!.

النقطة الثانية: لقد ادّعى أنّ من كمال نعم الله على نبيّه أن اختار له خير الأصحاب فهماً ورجولة وشجاعة....إلى آخر ما ذكر.

وهذا أمر مسلَّم في الجملة ولكن..لنا معه في ذلك عدّة مواقف:

---

(١) سيأتي في ما بعد ما يشير إلى هذا من فعل بعض الصحابة؛ بل جُلّهم، وكفانا أن نتوجه لما يمكن وروده عليهم من النقص في ما لو أسقطوا مرويات أبي هريرة فقط عن البخاري، فهي بما يساوي ٢٦٪ من كل رواياته.

الموقف الأول: لا شكَّ أنَّ اللّٰه عزَّ وجلَّ لما اصطفى نبيه لم يستشر أحداً في ذلك وهذا معلوم لكل أحد. وحينما أرسله فإنَّما أرسله إلى الناس كافَّة، ولكنَّ التبليغ والأنذار كان أولاً لقومه، ثمَّ شيئاً فشيئاً تدرجت الدعوة حتى عمَّت الخافقين. ولم يكن قبول دعوته من قِبَل الناس شرطاً في صحَّة تلك الدعوة، بحيث إنَّه لو لم يقبل أحدٌ منهم دعوته لزم بطلان نبوته، وهذا مسلم أيضاً، إذن فالنبي نبي ورسول من اللّٰه عزَّ وجلَّ سواء قبلوا أم رفضوا. فهو نبي بالحق قد جاء من عند الحق شاؤا أم أبوا، اتبعوه أم خذلوه.

ثمَّ إنَّ دعوته لهم إنَّما كانت لرفع جهالتهم ودحض باطلهم وضلالهم، فهم الذين كانوا محتاجين لدعوته، وبمجيئه لهم تتم النعم عليهم وتكمل معارفهم. فهم أهل الحاجة للتكميل بالتصديق بنبوته[1]. ولكن، هل صدَّقوا أم كذَّبوا؟

هذا ما لا يفصح عنه الكاتب مخافة انكشاف بعض تلك الصفحات المظلمة من تاريخ مَنْ نسب أو ادعى لهم الصحبة، ومن والاهم ليس إلاّ.

الموقف الثاني: ما يتعلق بدعواه أنَّهم خير الأصحاب فَهْماً. فهذا ما تكذِّبه الروايات المتناثرة هنا وهناك في صحاحهم

---

(١) فاقرأ قوله تعالى ﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ فإنَّ خطاب إكمال الدين وإتمام النعمة متوجه للناس.

وغيرها. وهاهو الخليفة الثاني يقول: «ندمتُ على أمورٍ لم أسأل عنها رسول الله قبل وفاته..ومنها أنَّه مات رسول الله ولم أسأله عن قوله تعالى: ﴿وفاكهةٍ وأبًّا﴾[1].

وكفى بهذا نفياً للفهم الكامل عند هذا المؤلّف. وإلّا فالشواهد كثيرة.

وأمَّا الرجولة: فهل يقصد أنَّهم كانوا أصحاب كلمةٍ نافذةٍ؟ وهذا المعنى الكنائي المراد منها.

أم يقصد أنَّهم كانوا أصحاب مواقف عظيمة في الحقّ. فهذا لاينكره أحدٌ. لكنَّه كان لبعضهم لامطلقاً.

وكذا الكلام في صفة الشجاعة. وقد كان المبرَّز فيها أمير المؤمنين عليه السلام بل إنَّ أمر شجاعته ممَّا ثبت بالتواتر المعنوي.

ولكنَّ غاية ما يثبت بالذي ساقه المؤلّف: أنَّ بعض صحابة الرسول كانوا أهل فهمٍ ورجولةٍ وشجاعةٍ؛

نقول له: ثمَّ ماذا؟ وهل يتصوّر منه أن يثبت به أنَّ كلّ صحابة النبي ﷺ وعددهم ينوف على الآلاف. كانوا كذلك!!؟

إنَّ هذا لممَّا يُضحك الثكلى!.

الموقف الثالث: ما رام إثبات مدّعاه من خلاله وهو قول النبي ﷺ: «الناس معادن فخيارهم في الجاهليّة خيارهم في

(١) سورة عبس. آية ٣١.

الإسلام، إذا فقهوا»[1].

فبالإضافة للمناقشة في سند هذه الرواية، فإنَّ المـــناقشة في دلالتها واضحة، بل حتّى لو تمّت دلالتها فغاية ما تثبته هو أنَّ كون الرجل من أهل الخير في الجاهليّة فهو كذلك في الإسلام، بشرط التفقّه في الدين، وهذا أجنبي عمّا يروم المؤلف إثباته إطلاقاً.

و لاينقضي عجبي من هذا الكاتب، فإنَّ كلّ استدلالاته بهذه الصورة، فهو يتوهّم أو يتقصّد هذا النحو من الكلام، بأن يـذكر الوصف المطلوب تحقّقه من الصحابة، ومن ثمّ يدّعي ثبوته فيهم كلّهم، وكأنّه أمرٌ مسلَّمُ الثبوت، وممّا لايقبل النقاش أو الإنكار.

أخي الكاتب ـ وأنت يا أخـي القـارىء ـ ثـبّت العـرش ثمّ انقش، فلو قال لك شخص: إنَّ في الطريق مَن اسمه زيـد، فـهل يُثبت هذا أنَّ كلَّ مَن في الطريق، اسمه زيد !!؟

الموقف الرابع: إنَّ الإنسـان العاقل يسير بقدر ما يسير بـه

---

(١) صحيح البخاري: ٦ / ٢٩٨ ومسلم برقم ٢٥٢٦ باب خيار الناس، إذ أنَّ آفة هذا الحديث هو انتهاء جلّ ـ بل كلّ ـ طرقه لأبي هريرة، وفيه ما فيه، علاوة على وجود حرملة بن يحيى الذي يروي عنه مسلم كثيراً وقد قال عـنه أبـو حاتم: يُكتَب حديثه ولا يحتج به، وقال عنه ابن عدي سألت عنه عبدالله بن محمد الفرهاذاني؟ فقال: ضعيف، ولم يجوز أحمد بن صالح الروايـة عـنه، وأمّا من جهة المتن ففي تتمته: «..وخير الناس في هذا الأمر أكرههم له قبل أن يقع فيه...» ولعل في هذا إرادة المدح والتقرب من قبل أبـي هـريرة إلى بعضهم ممّن كان شديداً على الدين قبل تظاهره بالإسلام.

الدليل مرشداً لطريقه، فأنَّى يوجهه يختار، ولا ينبغي له أن يوجه هو الدليل ويُكيِّفُه ويُطوِّعه كما يشاء، فإنَّ هذا هو الانحياز، وعدم الحياد العلمي بأن تجعل الدليل طوع هواك وطبق رؤاك، وهو أمر ممقوت من كل أحد، ولذا نقول: قد صحَّت الآيات بأنَّ الرسول جاء لتزكية المدعوِّين ولتعليمهم وتربيتهم، وقد فعل ما كُلِّف به وأدَّى ما حُمِّل، ولكن وردت روايات تاريخيَّة موثقة أو أحاديث مصححة ممَّن لا يمكن الطعن عليه فيها، وهي تثبت أنَّه قد صدر من بعض أولئك الصحابة ما يخالف تلك التربية التي أداها النبي ﷺ بل ما يخالف الدين كلاً، والعقل السليم، فيلزمنا أحد أمرين:

إمَّا أن نقول ـ والعياذ بالله ـ إنَّ الرسول قد علَّمهم وربَّاهم على ذلك الأمر المشين. وهذا هو الكفر بعينه، كما هو بعيد عن ساحة قدسه ﷺ.

وإمَّا أن نقول بأنَّ ما صدر منهم إنَّما هو من فعلهم الخاصّ بهم، والذي لم ينصَّ عليه النبي ﷺ بل لا يرتضيه، وهو مخالف لما أراده ﷺ[1].

ولا شكَّ أن لازم القول الأوّل رمي النبي ﷺ بالنقص، ونسبة عدم حسن تبليغ الرسالة إليه! وهذا ينافي الآيات والروايات

---

(١) ولذا فقد ذكروا في بعض قضايا خالد بن الوليد قتله عامر بن الأضبط بعد إظهاره الإسلام والسلام، وغضب النبي لذلك وقال اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد ـ قالها ثلاثاً ـ وسيأتي ذكر مصادرها.

المثبتة لعصمته ﷺ وأنّه لم يقصّر في التبليغ.

بينما لامانع من الالتزام بالقول الثاني، إذ ليس فيه نسبة طعن لساحته ﷺ وليس فيه إلّا إثبات ما يمكن أن يصدر من أيّ فرد غير معصوم قابل لصدور الخطأ منه[1].

إن قلتَ: يمكن لنا أن نختار شقّاً ثالثاً وهو تكذيب تلك الروايات.

قلتُ: مضافاً إلى كثرة تلك الروايات بحيث لا يمكن تكذيبها كلّها، فإنّ الموجب لتكذيب الخبر ما هو ؟

إنّ الموجب لتكذيبه: إمّا مخالفته لضروري النقل أو ضروري العقل، وإمّا وجود ما ينهض بمعارضته من النصوص الأخر، ولا يخفى أنّ فيما ينقل من وقائع وقعت أو حوادث صدرت من بعض الصحابة، والالتزام بذلك فيها ليس فيه خلاف لضروري من عقل أو نقل، كما ليس فيها روايات أخرى معارضة لها حتى يلزم

(١) والمشكلة الكبرى التي يعيشها الكاتب وأمثاله هو أنّهم قد ولدوا ودرجوا على هذه الهالة القدسيّة لمن صَاحَبَ النبي أو عاش معه في زمانه أو روى عنه، وكأنّ تلك الأمور توجب العصمة لهم، وابتنت عقولهم على ذلك لأجيال متتالية ومترامية الأطراف والأشخاص، ولمسافات فكرية معمقة من قبل الأيدي الخبيثة المغرضة التي ما فتئت تعبث بالتاريخ والحديث والسيرة إرضاءاً لأيدي غريبة عن الدين، واللّٰه المستعان، ولا حول ولا قوّة إلا باللّٰه العلي العظيم.

تساقطها. والفرض عدم وجود آية تثبت العصمة لهم جميعاً حتى يصار إلى تأويل تلك الروايات مهما أمكن.

كما أنَّ الروايات قد وردت لنا من قبل أشخاص لا يمكن الطعن عليهم كما لو كانت في الصحيحين أو المسانيد الأخرى بشرط الشيخين، وهكذا في كل رواية، ولو كانت من كتاب غير تلك الكتب، وكانت جامعة لشرائط صحّة الخبر.

ولو التزم بسقوطها للزم التخلّي عن علم الحديث والرجال، وبالتالي يجوز لهم أخذ كلّ حديث دون البحث في سنده أصلاً. وهو كما ترى!.

الموقف الخامس: لا يمانع أحدٌ، بل ممّا لا يُنكَر: أنَّ الرسالة المحمديَّة، و الهدي النبويّ الشريف هو نعمةٌ عظيمةٌ، بل هي من أعظم النعم على الصحابة بل على الأمَّة جمعاء، وكما قال تعالى في آخر الآية المذكورة: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[1].

ولكنَّ السؤال الذي يبقى بلا إجابة بعدُ: هل أدّوا حقَّ تلك النعمة؟ وهل شكروا الله ذلك الفضل الذي هم فيه؟ فقد قال تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ أَجْرَاً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾[2].

فهل تودَّدوا لذوي القربى أو عَادَوْهُم؟.

---

(١) سورة المائدة: ٥٤.

(٢) سورة الشورى: ٢٣.

وقد كان هذا أمراً يسيراً في مقابل تلك النعمة العظيمة، والفضل الإلهي الكبير، والذي لم يؤدّوه كما ينبغي، وقد دلّت على ذلك الروايات الكثيرة في الصحاح وغيرها.

الموقف السادس: قد قالوا في فقه القضاء: «البيّنة على المدّعي، واليمين على من أنكر».

وقد ادَّعى الكاتب: أنَّ هناك ملازمةً بين المحبَّة للرسول، والاعتقاد بأنَّه أدّى الأمانة، وبين تعديل الصحابة الذين أخذوا عنه الحديث، وعاش بين أظهرهم، وأنَّ الطعن فيهم طعنٌ في إمامهم وقائدهم!

فما هي بينته على ذلك !؟ ففي كلّ ما عرضه لم يأتِ لنا بدليل على ما ادَّعى، لا شكَّ إذن أنَّه يرسل الكلمات جزافاً.

فإذا تبيَّن للمنصف العاقل أن لابيّنة للمدعي، ظهر له أن لاملازمة بين الأمرين قطّ، بل قد يجتمعان في واحدٍ ويفترقان في آخر. والتاريخ وتراجم الرجال فيها من الشواهد ما تُملأ به الصفحات.

النقطة الثالثة: وفيها عدَّة إشارات مع هذا الكاتب:

الإشارة الأولى: لقد حاول ثانية أن يضرب على وتر الصحبة والملازمة بين المعلّم والمتعلّم: فادعى بأنَّ وِزَانَ الرسول مع صحبه وِزَان رئيس القوميَّة أو الدولة مع أعوانه والمقربين منه، فيما لو جاء شخص يدعي انتسابه إليهم، ولكن يطعن في المقربين من

الرئيس ويصفهم بالخونة، فلاشكَّ أنَّ هذا الرئيس سيغضب لذلك ولن يرضى أن يوصف المقربون منه بتلك الصفات، وهنا عدَّة أمور:

الأول: لقد قاس الرسول الأعظم بمقياسه الصغير على أنَّه رئيس قوميَّة أو دولة، ولكنَّ هذا القياس مع الفارق؛ لأنَّ رئيس الدولة هو الذي اختار بطانته وقرَّبهم وجعلهم مختصين به، بينما لم يجعل الرسول جميع صحابته من المقرَّبين له، بل كلامك أخذ للدعوى في الدليل في الواقع، وهو مصادرة على المطلوب.

علاوةً على تفرّع ما ذكره عن عقيدته القاصرة في النبي ﷺ بأنَّه قابل للخطأ، ولذا صحَّ له مثل هذا القياس، والحقّ عندنا عدم صحَّة ذلك، بل الأدلَّة العقليَّة والنقليَّة قائمة على بطلان ذلك، وهي قائمةٌ على أنَّه ﷺ معصوم عن الخطأ في كلّ شيء وكفانا دلالةً قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[1].

الثاني: لو اكتشف أحد الرعيَّة خيانةً من مقرّبي الرئيس ونسبها إلى الرئيس أو كانت سوف تحسب عليه بما سيشوّه سمعته عند الملأ، فلاشكَّ أنَّ كشف هذه الخيانة وتبرئة الرئيس منها ليست ممَّا يغضب الرئيس، بل هي ممَّا يُسرُّه!!؟

(١) النجم: ٤ ـ ٥.

الثالث: قد جعل اعتبار الرسول لصحبه ولقربهم منه كاعتبار رئيس البلد أو القوميّة لذلك، وهذا لو سلّمناه في حدّ ذاته[١] لم نسلّم صدوره من النبي ﷺ بنحو عام. فلنا أن نسأله: هل كان اعتبار الرسول لكلّ الصحابة أو لبعضٍ منهم؟ وهم خصوص من كان يرى فيهم الإخلاص والتقوى والامتثال لأوامره والانتهاء عن نواهيه؟ لا أشك في عدم اختيارك للشقّ الأوّل بل لابدّ أن ترجّح للشقّ الثاني، وإلا فتعالَ لنقرأ تاريخ الصحابة واحداً واحداً، ولِنُرِي العَالَمَ أجْمَع كيف أنَّ بعض من تسمّيهم بالصحابة كانوا على شكّ من الرسول في إخباراته[٢]؟ وفي أوامره ونواهيه[٣]؟ بل حاول البعض منهم التعرّض لقتل النبيّ حين دحرجوا عليه الدباب[٤] بل لم يقبلوا منه قط تبليغاته المتكررة في

---

(١) وإن كان من حيثيات أخرى قد يوجب منقصة في النبي، وذلك لكماله ﷺ ونقصهم، ولعصمته وقابليتهم للخطأ.

(٢) راجع واقعة صلح الحديبيّة وقول بعضهم: مالرتبت ارتياباً قبل اليوم، وفي رواية أخرى: ما شككتُ مثل اليوم...، وستأتي مصادر هذه القضية، فانتظر.

(٣) سيأتي منّا بيان لبعض الموارد التي صدرت منهم وكانت صريحة في الامتناع عن امتثال أوامر النبي ﷺ، كما في إحلاله وذبحه الهدي وشكواه أمر أصحابه لزوجه أم سلمة، وكما في «أتحجّ ورؤوسنا تقطر؟» صحيح البخاري: ٢ / ٥٩٤ رقم ١٥٦٨، وكما في اعتراض البعض عليه في توقيع الصلح مع قريش..و..و.

(٤) وهي قضية العقبة ومرور النبي بها فحاول جماعة من أصحابه قد تآمروا على قتله، وسيأتي ذكر مصادرها.

ابن عمه ووليّ أمرهم بعده بلافصل عليّ بن أبي طالب[1].

الثالث: ونسأل الكاتب المعاصر ونخاطب وجدانه: ألم تجلس على مقاعد الدراسة عبر ترقياتك العلميّة، ووجدت من الطلاب من لم يوافق أستاذه في عرض بعض الأمور أو في القبول بها؟ بل ألم يكن منك أنت بنفسك مثل هذا الأمر في أن ترفض أو تعارض بعض ما يعرضه أستاذك ومعلّمك من أمور سواء في مادة البحث أو في منهجه؟ بل حتّى ولو لم تبدِ هذا المعنى لأستاذك حينئذٍ لكن ألم يكن في قلبك شيءٌ منه؟

كل هذا وكلاكما غير معصوم عن الخطأ في اللسان ولا في الجنَان ولا في الاعتقاد، ولكنَّ الفارق بينكم وبين الصحابة ـ مع أنَّهم كانوا كذلك غير معصومين ـ أنَّ معلمهم كان معصوماً بإجماع المسلمين وضرورة العقل والنقل، وأنَّهم رأوا النبي ﷺ دونكم، وإلى هنا نصل إلى نتيجة وهي:

---

(١) وقضية الحارث بن النعمان مشهورة مسطورة في الكتب، حيث أنّه لما اتصل إليه خبر تنصيب النبي علياً ولياً ومولى للمؤمنين أتى النبي فقال له: أمرتنا بالصلاة فصلينا وبالصوم فصمنا وبالحج فحججنا وبالزكاة فزكينا أموالنا، ولم تكتف بذلك حتى نصبت ابن عمك علينا وليّاً. أهو أمر من الله أم من عندك؟ قال ﷺ بل هو من عند الله. فخرج وهو يقول: «اللهم إن كان من عندك فأنزل علينا حجارة من السماء» فذهب نحو دابته ليركبها فما أتم ركوبه حتى نزلت عليه حجارة من السماء فوقعت على رأسه وخرجت من دبره فمات من حينه» فراجع تفسير قوله تعالى: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾

أنَّ غير المعصوم قابل للخطأ ولكنَّ المعصوم لا نتصور تحقق أو صدور الخطأ منه، وأنَّ الاشتباه من غيره ـ ولو كان هذا الغير هو من الصحابة ـ يمكن تحققه وصدوره، وأنَّ الاختلاف مع المعلّم يمكن صدوره أيضاً، ولكنَّ الأمر المهم والمتبقي هنا هو أنَّ الاختلاف مع المعلّم أمر طبيعيّ لو كان غير معصوم وقابلاً للخطأ، لأنَّه بشر ولكنَّ اختلاف الصحابة مع نبيهم ومعلمهم أليس قبيحاً؟ وعدم انصياعهم لأوامر نبيهم أليس قبيحاً؟ بل ألم يكن عدم اعتقادهم بما يقول فضيعاً منهم وأمراً شنيعاً؟

لا تقل لي: كلّ ذلك لم يصدر، وأنَّ كلّ ما ذكره المؤرّخون محض أساطير وأكاذيب لفَّقوها.

فإنَّ ما أستندُ إليه في دعواي هذه ليس تلك الكتب التاريخيَّة؛ بل هي روايات الصحاح والأسانيد.

وإنَّ مقتضى قواعد البحث العلمي أن تكون ممَّن يتبع الدليل لا ممَّن يُطوِّع الدليل كما يشاء، أو يقبل منه ما يوافق هواه ويرفض ما يخالفه.

والمصادر موجودة بين يديك، وليس عليك إلا الخلوة بنفسك متأملاً في الروايات متصفحاً لكتب التأريخ، ولا تقل: «إنَّ تلك الكتب كلّها أساطير»، فتكذب كلّ ما لا يوافق رأيك.

ويا ترى: هل يبق لك كتاب تعتمد عليه؛ لو رددتَ كلّ ما خالف هواك؟

الإشارة الثانية: وأمَّا ما تعرضتَ له من أنَّ ذمّهم يسقط مباشرة وبلا تأنٍ، وذلك في مقابل مدح رئيس الدولة أو القوم لهم، وفي مقابل كلّ من يذمّهم.

فأين قد صحَّ عن النبيّ الأكرم أنَّه مدحهم عامّة ومطلقاً؟

وأيضاً لو صدر عنه مدح لبعض الصحابة، حتى ما كان بعنوان الصحابة فلابدَّ من صرفه إلى خصوص الذين اتبعوه بإحسان وأحسنوا الصحبة، وبذلوا أنفسهم دونه، لا كلّ من تحقق أنَّه صحب النبيّ بالمعنى الذي ذكرته أوَّل الرسالة، وهو من آمن بالنبيّ وصحبه ولو لفترة من الزمن ومات على ذلك.

فما العبرة فيمن آمن بالنبيّ وصحبه مدَّة حياته أو مدَّة حياة النبي ﷺ لا حبّاً في الإسلام؛ وإنَّما لسلطان النبي ﷺ أو لوجاهة بين الناس، وما أكثر أغراض الناس واختلاف أهدافهم وغاياتهم في التقرب من الرؤساء، هذا أوّلاً.

وثانياً: لو فرضنا صحَّة مدح النبيّ للصحابة؛ فقد ثبت عندنا ورود ذمٍّ لبعضهم أو لبعض الصفات الموجودة فيهم، و ثبت عندنا من روايات بطريق صحيح غضب النبي على بعضهم، وعدم رضاه عنهم أو تبرؤه مما عملوا، و ثبت من بعض الروايات أنَّه قد صدر منهم بعد وفاته ﷺ ما لا يُرضيه لو كان حيّاً بين أظهرهم.

فطريق الجمع بين الأمرين أن نخصّص المدح الوارد في الصحابة بمن لم يصدر منه ما يشين الصحبة ويباعدها عنه.

لا أن نردَّ كلَّ تلك الروايات الواردة في حقِّ بعضهم ممَّا ينافي روايات المدح .

الإشارة الثالثة: لو دار ثبوت العيب بين ثبوته للمعلِّم أو للتلاميذ أو للناقد لهم ، فهنا نُعمِل القواعد العلميَّة المستندة للعقل السليم .

فنرى أنَّ المعلِّم؛ فيما لو كان معصوماً وقد بذل جهده في التعليم والتربية والتزكية لهم؛ فهو خارج عن عنوان ثبوت العيب فيه .

وأمَّا التلاميذ: فهل تعلَّموا كلَّ ما علَّمهم ؟ وهل وعوا وعملوا بكل ما تعلَّموا ؟ أم تخلَّف العالم منهم عن العمل؟.

إنَّ هذا ما تهدينا إليه بعض الآيات والروايات الواردة في الصحاح ، حيث تثبت عدم انصياعهم لكل ما قاله معلِّمهم وقائدهم .

١ ـ فاقرأ معي هذه الآية : ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَاقَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاَمِهِم وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾[1]

فقد نزلت في بعضهم يوم غدير خمٍّ لما رأوا النبي ﷺ رافعاً بيد عليّ قالوا: «انظروا إلى عينيه كأنَّهما عينا مجنون». وقيل هو الجُلاَس بن عبيد ، أو سويد ، ولكنَّه تاب بعد ذلك عمَّا قال[2].

(١) التوبة: ٧٤.

(٢) سيأتي مصدرها لاحقاً.

٢ ـ واقرأ معي أيضاً قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلاَ نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَت سُورَةٌ مُحكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِن المَوْتِ فَأَوْلَى لَهُم﴾[1] فالذين في قلوبهم مرض هم من الذين آمنوا، ومن الصحابة، لأنَّ المفروض أنَّهم آمنوا وهم مع النبي ﷺ.

ثمَّ أكْمِلْ تلاوة السورة معي، وَقِفْ عند قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُم * وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُم فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُم وَلَتَعْرِفَنَّهُم فِي لَحْنِ القَوْلِ..﴾[2].

وأقرأ قوله تعالى: ﴿مَالَكُم إِذَا قِيلَ لَكُم انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُم إِلىٰ الأَرْض﴾[3] فمن الذي تثاقل عن النفور للجهاد غير الصحابة من الكفّار والمشركين؟ هل هم المؤمنون أم غيرهم؟

٣ ـ وأقرأ معي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوَاً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمَاً﴾[4] في البخاري[5]: أقبلت عيرٌ يوم الجمعة ونحن مع النبي صلى اللّه عليه وسلم فثار الناس إلا اثني

---

(١) محمد: ٢٠.

(٢) محمد: ٢٩ ـ ٣٠.

(٣) التوبة: ٣٨.

(٤) الجمعة: ١١.

(٥) صحيح البخاري: ٤ / ١٨٥٩ برقم ٤٦١٦.

عشر رجلاً فأنزل الله: ﴿وإذا رأوا تجارةً...﴾[1].

وأمّا في الروايات: ففيها الكثير ممّا يُثبت عدم انصياعهم لأوامره ﷺ.

فمنها: ما ذكره البخاري في صحيحه من أنّه لمّا تمّ صلح الحديبيّة وهمَّ الرسول بالإحلال بالهدي أمر أصحابه بالذبح؛ فلم يقم منهم أحدٌ؛ فأمرهم ثانية وثالثة. فلم يستجيبوا. فدخل إلى خيمة أم سلمة، وأشتكى إليها أصحابه. فقالت له: لا عليك منهم أخرج واذبح الهدي. فلما خرج وذبح هديه قاموا متثاقلين الواحد والإثنين»[2].

بل فيها: «جاء عمر للنبيّ وقال له: أو لستَ نبيّ الله حقّاً؟! قال: بلى.

---

(١) وفي تفسير الكشاف للزمخشري: ٤ / ٥٣٦ ـ ٥٣٧: قيل: بقي معه ثمانية، وأحدعشر، واثنا عشر، وأربعون. فقال عليه السلام: «والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لأضرم الله عليهم الوادي ناراً». وفي هامش التفسير...وأصل هذه القصة في الصحيحين من رواية حصين عن سالم..وفي لفظ مسلم: «منهم أبوبكر وعمر» وفي رواية: «وأنا فيهم». أقول: فهل يمكن بعد هذا أن نحكم على كل الصحابة بأنّهم عدول ولا يمكن التعرض لهم بالنقد والتجريح وقد آذوا النبي وتركوه قائماً ؟؟ والغريب من بعضهم تعليله فعلهم بأنْ وقتئذٍ لم يكن الاستماع للخطبة واجباً. فاسمع وأعجب !!.

(٢) صحيح البخاري: ٢ / ٩٧٨، صحيح مسلم: ٣ / ١٤١١

قال: أو لسنا على الحقّ، وعدوّنا على الباطل ؟ قال: بلى.

قال: إذن؛ فلم نعطي الدنيّة في ديننا؟

قال: إنّي رسول الله، ولستُ أعصيه وهو ناصري، أو قلتُ لك تحجّ البيتَ العامَ؟

قال: لا، فرجع ولقي أبابكر فقال له ما قال للنبيّ فأجابه بما أجابه، فرجع عنهما، وهو يقول: فعملتُ لذلك أعمالاً»[1].

ومنها: في حجّة الوداع لمّا أمرهم بالإحلال ثمّ الإحرام للحجّ جاءه بعضهم، وقال: يارسول الله ننطلق إلى منى ورؤوسنا تقطر..!؟»[2].

ومنها: ما في صحيح مسلم[3] من ظهور ضيق صدور الصحابة من أوامر النبيّ ﷺ: أهللنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالحجّ فلمّا قدمنا مكّة أمرنا أن نحلَّ ونجعلها عمرةً، فكبر ذلك علينا وضاقت به صدورنا....

---

(١) وفي المصدر هكذا: قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً.

(٢) صحيح البخاري: ٢ / ٥٩٤ رقم ١٥٦٨.

(٣) صحيح مسلم: ٢ / ٨٨٤ برقم ١٢١٦، ونفس الحديث بلفظ البخاري: ٢ / ٥٩٤: ننطلق ورؤسنا تقطر، وبلفظ أحمد ٤ / ٢٨٦ و مسند أبي يعلى ٣ / ٢٣٣: فقال الناس: يارسول اللّه قد أحرمنا بالحج فكيف نجعلها عمرة؟ قال: انظروا ما آمركم فافعلوا، فردوا عليه القول فغضب ثم انطلق حتى دخل على عائشة غضبان فرأت الغضب في وجهه، فقالت: مَن أغضبكَ ؟ أغضبه اللّه، قال: وما لي لا أغضب وأنا آمر بالأمر فلا أتبع !!

وفي لفظ الطبراني في المعجم الكبير[1]: حتى إذا كان يوم التروية أمرنا فأهللنا بالحجّ. فقال بعضنا لبعض: خرجنا من أرضنا حتّى إذا لم يكن بيننا وبين منى إلّا أربع نخرج ومذاكيرنا تقطر منيّاً !؟.

فبلغ ذلك رسول الله فقال: أتتهموني وأنا أمين أهل السماء وأهل الأرض !؟.

ومنها: اعتراضهم وطعنهم في تأمير النبيّ ﷺ أسامة بن زيد على الجيش. وفيه: فطعن بعض الناس في إمرته. فقام رسول الله فقال: «إنّكم تطعنون في إمرته كما كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل..»[2]

ومنها: ما صدر من عمر من منع النبيّ ﷺ وهو في أيامه الأخيرة أن يكتب كتاباً للهداية لايضلُّ الناس بعده أبداً. فقال عمر: إنَّ النبيّ قد غلبه الوجع وعندنا كتاب الله. فاختلفوا. وكثر اللغط. قال: «قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع..»[3].

وهذا غيض من فيض، وإنَّما ذكرنا هذه الموارد دفعاً لتغرير الكاتب بعدم مخالفتهم لتعاليم النبيّ ﷺ كأستاذٍ لهم ومعلّم.

وإلا، فهي واضحة للعيان ولا تحتاج إلى برهان. وقانا الله

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: ٧ / ١٢٧.

(٢) صحيح البخاري: ٦ / ٢٤٤٤. صحيح مسلم: ٤ / ١٨٨٤.

(٣) صحيح البخاري: ١ / ٥٤ برقم ١١٤.

سوء المنقلب.

وأما في رجوع العيب للطاعن وأنّه يرجع طعنه فيهم للطعن في المعلّم.

فهذا كلام مرفوض جملةً وتفصيلاً، فإنَّ الناقد البصير: فيما لو استند إلى مقدمات علميّة تامّة واعتمد على أدلّة معتبرة عند الخصم، فنقده يكون نقداً قد صدر من أهله ووقع في محلّه، ولا يلزم من ذلك رجوع الطعن للمعلِّم، وذلك لفرض التفكيك بين المعلِّم وما جهد من تعليمهم، وبين التلاميذ الذي لم يحسنوا الوفاء للمعلّم...!!

هذا مع اعتبار حسن الصحبة والاحترام والتقدير لمن وَفَى منهم، وثبت حسن صحبته له ﷺ حتى انتقل إلى جوار ربّه.

الإشارة الرابعة: تفاخره بما فعل من ادَّعى لهم حسن الصحبة بأنَّهم ممَّن وقفوا مع الرسول الأكرم في حروبه حتى بلغت القلوب الحناجر، ولم يتخلّوا عنه، يلحظون مجالسه وأنفاسه نفساً بنفس، ويتدافعون على فاضل ماء وضوئه..إلى آخر كلامه.

ولقد قرب ـ هذا الكاتب ـ من نقل الحقيقة! فالحمد لله على الصحوة بعد الغفوة، ولنسأل الكاتب: في أيّة معركة هجم الكفارُ على المسلمين فثبتوا غير جماعة مخصوصة؟ أفي بدر لمّا حملوا على النبيّ حينها نادى رسول اللّه ﷺ بعليّ ؑ ليدفع المقاتِلَةَ من الكفار عنه؟ أم في غيرها؟ فارجع للنصوص تجد أنّها تبين لك الواقع.

وهل سمعت في معركة من معارك النبيّ بشجاعة أو بسالة من غير أفراد منهم ؟ وهل كانوا كلهم معروفين بالمبارزة والقتال ؟؟

وهاك مثلاً من معركة أُحُد: لمَّا نزل الرماة عن جبل أُحُد ظنّاً بالنصر، وانتهاء المعركة، ومسارعة للغنائم. فكَرَّ عليهم الكفّار، وفرَّ المسلمون، فمن بقي مع النبيّ يقيه بنفسه وبسيفه ؟؟

وأينك عن غزوة حنين التي تحدّث عنها القرآن إذ أعجبتهم كثرتهم، ولمَّا باغتهم المشركون فرُّوا جميعاً، والعبّاس ينادي خلفهم: «ياأهل بيعة الشجرة، يا أهل سورة البقرة» !!.

وهكذا في غزوة الأحزاب: من الذي برز لمقابلة عمرو بن عبد ودّ؛ ذاك البطل الذي كان يعدّ بألف فارس ؟

لولا برز له أمير المؤمنين ﵇ وتنازلا القتال، وما انجلت الغبرة إلا وعلي﵇ قد رقى صدر عمرو واحتزّ رأسه، فكبَّر المسلمون وانهزم المشركون[1].

ولقد قال رسول الله ﷺ يومذاك: «إنَّ ضربة عليّ لعمرو أفضل من عمل الثقلين أو ـ عبادة الثقلين ـ»[2].

---

(١) سيأتي ذكر مصادرها حين الكلام في غزواته ﷺ.

(٢) المستدرك للحاكم: ٣ / ٣٢، تاريخ بغداد: ٣ / ١٩، مناقب أخطب خوارزم: ١٠٤، المغازي للواقدي: ٢ / ٤٧٠ ـ ٤٧١، نهاية العقول للرازي: ١٠٤، ومصادر أخرى كثيرة، بل كل من تعرض للمعركة ذكر هذا إلا من أعمى الله بصيرته فلم يبصر الطريق إلى علي﵇.

وكذا في خيبر؛ فقد خرج أولاً أبوبكر ولكنَّه سرعان ما رجع يُجبِّن أصحابه، ثمَّ أعقبه عمر بن الخطاب ولم يزد على نظيره بأن رجع يُجَبِّن أصحابه وأصحابه يُجبِّنُونه، فقال رسول اللّٰهﷺ: «لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبّ اللّٰه ورسوله ويحبه اللّٰه ورسوله كرَّاراً غير فرَّار»[1].

ولا يخفى ما في تلك الكلمات من تعريض بمن عداه ممَّن فرَّ أو هو كثير الفرار عن الأبطال[2] وكان ما أراد اللّٰه ورسوله من الفتح المبين لهم على يدي أمير المؤمنينﷺ.

وأمَّا مداومتهم على مجالس الرسول ﷺ وكثرة محادثته:

فهذا ليس لكلِّهم وجميعهم، وإلاّ فهو ممَّا يكذّبه التاريخ وتكذّبه الكثير من أحوالهم، ففيهم مَن كان لا يفارق المسجد لأجل لقمة طعام لعلَّها تصل بيد الرسولﷺ فيلقمها إيّاه[3].

---

(١) مسند أحمد: ١ / ١٥٨، ٢٨٤، ٣٥٨، صحيح البخاري: ٦ / ٢٩١، صحيح مسلم: ٢ / ٣٢٤ مع اختلاف بينها في الألفاظ.

(٢) بل إنَّ نفس ذكر هذه الصفات لشخص في مثل المقام يستفاد منه عدم اتصاف غير من ذكرت له بها كما هو واضح، إلا أن تقوم قرينة على خلاف ذلك، كالقرينة الموجودة على أنَّ النبي لابدَّ أن يكون أشجع الناس.

(٣) كما ذكر ذلك الصحابي الكبير عندهم أبو هريرة؛ كما في صحيح البخاري: كتاب العلم رقم ١١٥ ـ كتاب البيوع رقم ١٩٠٦ ـ كتاب المزارعة رقم ٢١٧٩ ـ كتاب الاعتصام رقم ٦٨٠٧، وفي مسلم: كتاب فضائل الصحابة: ٤٥٤٧.

ومنهم من شغله الصفق في الأسواق(١)، وقد وردت إلى ذلك الإشارة في الآية القرآنيّة: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾(٢).

وأمّا ما ذكره من أنّه ﷺ لم يألُ جهداً في تعليمهم كلّ خيرٍ ونصحهم في الابتعاد عن كلّ شرٍّ وتحذيرهم من سوء عاقبته.

فهذا أمر مسلَّمٌ. ولكنَّ السؤال هو: هل أنَّهم كلَّهم اتبعوا نصيحته ﷺ أم لا ؟ وهل حذروا مما حذَّرهم منه .أم لا؟

الشواهد والدلائل تقول: «لا، لا»، سوىٰ البعض! وعلى المدّعي خلاف ذلك أن يأتي بالبيّنة على ذلك.

وأمّا الاستدلال لإثبات ذلك بنفس صدور النصح والتحذير من النبيّ!

فهذا ضحك على الذقون لايرتضيه ذو مسكة من عقل سليم.

الإشارة الخامسة: وأمّا ما استشهد به من مقاتلَة أمير المؤمنين الذين انحرفوا عنه وحاربوه فهو لا يخلو من أحد أمرين:

فإمّا أن يكون كلامه هذا على وزان كلامه في صحابة النبيﷺ مع النبيﷺ. والكلام فيه هو الكلام. لضرورة التفكيك بين

---

(١) وقد ورد بألفاظ متقاربة وأكثرها هكذا: إنَّ أخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وإنَّ إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، صحيحا البخاري ومسلم: الموارد السابقة.

(٢) الجمعة: ١١.

المربي والمعلّم وبين التلاميذ، فهو توسيع لدائرة الإشكال لا حلَّ له.

وإمّا أن يكون كلامه فيه أجنبياً، ونلتزم معه بعدم تحقق بيعة منهم له، ولذا بيَّن صلوات اللّه عليه في بعض كلماته حقيقة بيعة بعضهم أعني أول من بايع وهم ـ الزبير وطلحة ـ بل بيَّنها لهم مباشرة، وأخبرهم أنَّهم أول من ينقض تلك البيعة.

وأمَّا خروج مَنْ خرج عليه، فقد جرَّأهم على ذلك أمثال عمرو بن العاص، ومروان طريد رسول الله هو ووالده الحكم، ومعاوية بن أبي سفيان لمَّا أن امتنع عن تسليم الأمر لأمير المؤمنين عليه السلام.

وأنتم تعترفون في أمَّهات كتبكم بأنَّهم بغاةٌ على الإمام، والباغي على إمام زمانه كافر، هذا بحكمكم أنتم، كما صرَّح به علماؤكم(١) وغيره، و أبوموسى الأشعري والذي قَبِل أن يحكم

---

(١) لكنَّ ابن تيميَّة يأبى عن الحكم بكفر معاوية، فيقول: خرج على إمام زمانه فهو باغٍ، ولكنَّه مجتهد مخطيء فله أجر واحد، فالباغي ليس بكافر !!
سبحان اللّه وهل المخطيء بالخروج على إمام زمانه كالمخطيء بفعل أمر صغير جزئي؟! فما لكم كيف تحكمون ؟
وفي الواقع إنَّ هذا التبرير منه ليس لمعاوية فقط، بل لمن خرج يوم الجمل أيضاً، كي لا يحكم بكفرهم كذلك !!.

على إمامه، بل سوّل له شيطانه أن يتصور تمكنه من خلع الإمامة التي كانت ثابتةً لأمير المؤمنين عليه السلام فخلعها غافلاً أو عامداً متجراً، فتمَّت الخدعة والمكيدة على خلع علي عليه السلام.

وما علموا أنَّها إمامة إلهيَّة لا يمكن خلعها من قبل أنفسهم، وما كان خواصُّ عليٍّ إلا قلَّة قليلة، ولذا قال في أكثر من مقام: «ما ترك لي الحقّ من صديق».

وقبل كلّ ذلك: إنَّ بيعة أمير المؤمنين عليه السلام كانت من اللّه عزَّ وجلَّ ومن رسوله صلى الله عليه وآله ولم تكن منعقدة من الناس، بل الجلُّ منهم إن لم يكن الكلّ قد بايعوه في الغدير حتى قام الخليفة الثاني مُسَلِّماً عليه بأمر النبي صلى الله عليه وآله وهو يقول له: «بخ بخ لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة»[1].

فالعجب كيف صحَّت لهم بيعة مَن تقدم عليه مع اشتغال ذمتهم وصفق أيديهم ببيعتهم لعلي عليه السلام قبل ذلك، وها أنتم تروون: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الثاني منهما»[2] فحَقَّ القتلُ على كلّ من تقدّم على أمير المؤمنين عليه السلام بالبيعة لنفسه.

إلا أن تردُّوا هذه الرواية وأمثالها، وهذا ما لا نرتضيه لكم من

---

(١) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ١/٢٠٠. تاريخ اليعقوبي: ٢/٤٢، مسند أحمد: ٤/٢٨١، الرياض النضرة: ٢/١٦٩، سرُّ العالمين للغزالي: ص٢١.

(٢) صحيح مسلم: ٣ / ١٤٨٠ ح ١٨٥٣، المستدرك: ٢ / ١٦٩ ح ٢٦٦٦.

ردّها أو استحقاق القتل لهم، كما لا ترتضونه أنتم.

النقطة الرابعة: الطعن في الصحابة.

لقد حرص المدّعون بأنَّهم أهل السنَّة على الالتزام بعدالة الصحابة جميعاً، ولم يُعلَم لهم وجه عقلي(١) أو نقلي أو عقلائي

(١) نعم قد ذكر هذا الكاتب وجهاً يصلح لأن يكون وجهاً عقليًّا، وإن كان مسبوقاً به من قبل شارح المواقف؛ وهو أنَّه يلزم من الطعن في الصحابة عدم الاحتجاج بالسنَّة لأنَّهم هم الذين يروونها.

ولا يخفى على المتأمل أنَّ هذا الإشكال محض توهم فاسد، وذلك أنَّ هذا يتم فيما لو انحصر نقل الحديث والسنَّة من خصوص المطعون فيهم من الصحابة.

وأمَّا مع عدم انحصاره فيهم فلا موجب ولا ملزم لما ذكروا من اللازم، فإنَّ من الصحابة الرواة للحديث والناقلين للسنة النبويّة الكثير الكثير ممَّن لا طريق للطعن عليهم بوجه. وسيأتي منَّا ذكر بعضهم.

ثمَّ إنَّ الفحص والبحث عن الصحابي المستقيم الطريقة وتمييزه عن الصحابي الذي بدَّل وعطَّل وحرَّف، هل يوجب ترك السنَّة أو عدم روايتها أو تعطيل الدين كما يدعيه هذا الكاتب؟ كيف؟ والعترة الهادية عِدْلُ الكتاب، وهم أهل البيت الذين نصَّ النبي ﷺ في مواطن عدَّة على أنَّهم بهم الهداية، وأنَّ اللازم لهم لاحقٌ والمقصِّر في حقهم زاهقٌ والمتقدم عليهم مارق، فهم قد رووا عن جدِّهم الرسول ﷺ كلّ ما يلزم الدين من أصول وفروع، ومعهم ثلَّة كبيرة من الصحابة الأبرار رووا ما فيه الكفاية عن رواية غيرهم من المنافقين والمتَّهمين والمعتدين؟ فلماذا لا يؤبه بروايات هؤلاء، ويخصّ الدين بما يرويه أولئك أمثال المغيرة بن شعبة ومروان ومعاوية وبسر بن أرطأة ومسلم بن عقبة و..و.

يوجب ذلك، بل حتى الصحابة أنفسهم لم يكن عملهم كذلك[1].

إذ أنَّ كلّ ما ورد من آيات أو روايات هو لمدح بعض الصحابة، وعلى فعل خاص لا مطلقاً. هذا مع تسليم إرادة المدح منها. وإلا فالبعض منها إخبار عن واقعة خاصة وقعت والحكم المتعلق بها.

وأهمّ دليل ذكره هذا الكاتب من العقل على ذلك: هو لزوم فتح باب الطعن على غير الصحابة من باب أولى، فما الفرق بين الصحابة وغيرهم ما لم تثبت لهم العصمة ؟

ومَن هو هذا الغير الذي تقصده؟ وتخاف أن يَطَّلِع على الطعن عليه أعداء الإسلام؟

ثمَّ ما هو الدليل على المنع عن الطعن في مَن ثبت فيه ذلك، في ما لو كانت مصلحة الإسلام والحفاظ على السنَّة النبويّة تقتضي الطعن والدفاع عن الحقّ؟

وإلا، فامنع علماءكم عن البحث في علم الرجال، وهو علم أو فنّ له موازينه الخاصة، ولكنَّ لبّه وواقعه الجرح والتعديل.

---

(١) بل ورد العكس من ذلك عن النبي حيث إنَّ البخاري روى عن حذيفة: «..اثنا عشر رجلاً من أصحابي لا يدخلون الجنَّة حتى يدخل الجمل في سم الخياط» صحيح مسلم: ٤ / ٢١٤٣ كتاب صفات المنافقين. وفي رواية أخرى: في أصحابي اثنا عشر منافقاً ثمانية منهم لا يدخلون الجنَّة...» صحيح مسلم: ٨ / ١٢٢، السنن الكبرى للبيهقي: ٨ / ١٩٨، مسند أحمد: ٥ / ٣٩٠.

وهل التجريح إلا أن تقول: فلان مطعون فيه، وفلان كذاب، وفلان مدلس[1] وفلان كان يشرب الخمر، و..و...

ولو كان هذا العلم مجرد تعديل فقط لم يصح تسميته علماً[2].

وعلى هذا فالصحابة كغيرهم من الناس الذين يمكن أن توضع أسماؤهم وأفعالهم على مائدة التشريح فيُرَى: هل كان ثقة متقياً مطيعاً للّه ولرسوله، أم لا؟

والصحبة ـ لو قلنا بنفعها ـ لما تعدّى ذلك شرف اللقاء بالرسول الأكرم، ولكنَّ الأمر من زاوية أخرى هو عليهم أشدّ، لأنَّ من رأى النبي وسمع أوامره ونواهيه ولم يمتثلها كانت عقوبته أشدّ ممَّن لم يره و لم يسمع منه وإنَّما سمع من الرواة والأخبار ذلك،

---

(١) وقد كتب ابن حجر العسقلاني كتاباً أسماه «طبقات المدلسين» وجعل فيه مثل أبي هريرة من المدلسين الكبار، وكذا البخاري و..و.

فما تقول في مثل ابن حجر: هل أنَّ كتاباته كلها أساطير !!؟ وكتب الحميدي كتابه «الضعفاء والمتروكين» وألّفت الكتب في سرد الأحاديث الضعيفة كـ «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» و«اللآلىء المصنوعة» وغيرها.

بل لو لم يكن عندنا إلا قول النبيﷺ: «من كذب عليَّ متعمداً...» لكفى في التشكيك في مرويات بعض من ادعيت له الصحبة، ولم يكن قد حفظ صحبة النبي فيه، كما أنَّه ينبغي التنبيه على أنَّ ذلك لا ينافي حفظ مقام الصحبة لمن وفى بها وأدى حقها كما أراده اللّه منه ورسوله.

(٢) ضرورة اشتمال العلم على جهتي الوجدان والفقدان، أو جهتي النفي والإثبات.

وهذا مقتضى اختلاف الرتبة بين الصحابي وغيره.

ويكفينا في إمكان تطرُّق الطعن لبعض من ادُّعيت له الصحبة ما ذكره البخاري في صحيحه من حديث الحوض: «يقدم عليَّ جماعةٌ من أصحابي يوم القيامة ـ وأنا على الحوض ـ فلمَّا قربوا مني حيل بيني وبينهم؛ فأقول: ياربِّ أصيحابي أصيحابي؟ فيأتي النداء: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[1]

وفي نص آخر: «فيحلؤون دوني فأقول: يارِبِّ أصحابي؟ فيناديني مَلَكٌ: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك؟ لقد رجعوا القهقرى..»[2].

فهذا الكلام من لسان الرسول يوجب تحقق معرضيَّة الصحابة للطعن، خاصة من رجع منهم القهقرى بعد وفاته ﷺ.

وأعظمها هذه الرواية، وهي في ما بعد معركة أحد، فقد روى الإمام مالك أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال لشهداء أحد: هؤلاء أشهد عليهم، فقال أبوبكرالصديق: ألسنا يارسول اللَّه إخوانهم؟ أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا!؟.

فقال رسول الله ﷺ: بلى، ولكن لا أدري ما تُحدثون بعدي؟!!

---

(١) صحيح البخاري: ٨/ ١٤٨ ـ ١٤٩، مسند أحمد: ٥/ ٣٨٨.

(٢) صحيح البخاري: ٨/ ١٥٠ ـ ١٥١، الجمع بين الصحيحين: رقم ٢٦٧.

فبكى أبوبكر ثمَّ بكى، ثمَّ قال: أئِنَّا لكائنون بعدك ؟»[١].

وهاك بعض أسماء الصحابة الذين ثبت أنَّهم لم يحسنوا الصحبة بدلالة كلام الرسول في حقهم أو مخالفتهم الظاهرة لأوامره ﷺ ولو بعد وفاته ﷺ:

١ ـ الجد بن قيس الأنصاري، الذي قال النبي في حقّه: «كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر»[٢].

٢ ـ الحرقوص بن زهير السعدي، ممَّن شهد بيعة الرضوان ثمَّ صار رأس الخوارج، وهو الذي قال للنبي ﷺ: اعدلْ، يا محمّد[٣].

٣ ـ محلم بن جثامة، قال فيه النبي ﷺ: «اللهم لاتغفر لمحلم بن جثامة».

لأنَّه قتل صحابياً متعمداً[٤] فهو الذي قتل عامر بن الأضبط، ولمَّا مات محلم لفظته الأرض ثلاثاً. فجُعِل على سفح جبل ورُجِم بالحجارة، فلما أُخبِر النبي ﷺ بذلك قال: هي دعائي عليه.

٤ ـ عبد الله بن خطل، كان صحابياً ثمَّ ارتدّ، ولحق بمكَّة، وقتل

---

(١) الموطأ لمالك بن أنس: ١ / ٣٠٧ ومغازي الواقدي ص ٣١٠.

(٢) صحيح مسلم: ٨ / ١٢٣.

(٣) فتح الباري: ٨ / ٦٩، الإصابة: ٢ / ٤٩ برقم ١٦٦٣، وقيل بأنّه ذو الخويصرة.

(٤) الطبقات: ٢ / ١٣٣، ٤ / ٢٨٢، الإصابة: ٥ / ٧٨٥.

يوم فتحها[1] وهو ممَّن أمر النبيّ ﷺ بقتله.

٥ ـ المغيرة بن شعبة، وحاله أوضح من أن يوضّح.

٦ ـ سمرة بن جندب، أساء السيرة بعد النبيّ، وكان يبيع الخمر ويقتل الأبرياء. هو الذي وضع بعض الأحاديث في ذمّ عليّ طلباً لرضا معاوية و..و...

٧ ـ عبدالرحمن بن عمر بن الخطاب، شرب الخمر أكثر من مرّة فقتله أبوه حدّاً وتعزيراً بعد أن حدَّه عمرو بن العاص في مصر[2].

والروايات في هذا مختلفة، فقيل بأنَّ كـلا ولديـه قـد حُـدَّا؛ أحدهما حدّه للزنا والآخر حدَّه لشرب الخمر، أي عبد الرحمن المكنّى بأبي شحمة، وعبيد الله، وإن كانت بعض الروايات تفيد اتحادهما، وأنَّ الحدّ ليس إلا واحداً.

٨ ـ الوليد بن عقبة: الفاسق بنصّ آية النبأ: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾.

وغيرهم من الصحابة الذين خانوا الصحبة وتنكّروا لها بعد النبيّ ﷺ أو في حياته.

٩ ـ قدامة بن مظعون: وقد شرب الخمر في زمان عمر وجلده،

---

(١) التمهيد لابن عبد البر: ٦ / ١٧٥ ـ ١٧٦، الأحاديث المختارة: ٣ / ٢٥٠.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي: ٨ / ٣١٢، سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي: ص ١٧٠ وفي ط: ص ٢٠٧، إرشاد الساري: ٩ / ٤٣٩، شرح النهج: ٣ / ١٢٣ ط مصر.

فغاضبه ثمَّ كلمه واستغفر له [1] بل قال أبو أيّوب: لم يُحدَّ أحدٌ من أهل بدر في الخمر إلا قدامة ابن مظعون[2].

ولكنَّ العجب لا ينقضي من مثل الحاكم في المستدرك[3] حيث جعل من مناقب قدامة هذا أن نصَّبه الخليفة عمر بن الخطاب والياً من قِبَلِه على البحرين[4] وقد نسي الحاكم أن يعدّ من مناقبه شربه للخمر فيها، فلم يذكره في ترجمته!!

١٠ ـ أبو محجن الثقفي: ممَّن شرب الخمر مراراً، بل لم يكن ينفكّ عن ذلك حتى نفاه عمر إلى جزيرة، وجعل عليه رجلاً حارساً ففرَّ منه، وخرج إلى سعد حيث كان زمن معركة القادسيَّة، وذكر ابن عبد البرّ أنَّه كان منهمكاً في الشراب لايكاد يقلع عنه، ولايردعه رادع ولا لوم لائم[5] وذكر عن قبيصة بن

---

(١) الإصابة: ٥ / ٤٢٤ ـ ٤٢٥، الاستيعاب لابن عبد البر: ٣ / ٢٤٨، السنن الكبرى: ٣ / ٢٥٣، ٨ / ٣١٥، المصنف لعبد الرزاق: ٩ / ٢٤١.

(٢) الموضع السابق من الإصابة والاستيعاب والمصنف.

(٣) المستدرك: ٣ / ٤٢٦.

(٤) ولا يخفى أنَّ حكمة التنصيب هو أنَّه خال حفصة بنت الخليفة، وخال أخيها عبدالله بن عمر، كما أنَّه زوج أخت الخليفة، فلاحظ في نسبه المعجم الكبير للطبراني.

(٥) الاستيعاب: ٤ / ١٨٢، بل هو القائل شعراً:

إذا متُّ فادفنّي إلى جنب كرمةٍ ... تروِّي عظامي بعد موتي عروقها
ولاتدفنني بالفلاة فإنّني ... أخاف إذا ما متُّ أن لا أذوقها

معجم البلدان: ٢ / ٢٦٣.

ذؤيب أنَّ عمر جلده في الخمر: ثمان مرّات [١] وفي رواية أخرى: أربع مرّات [٢] وفي أخرى: سبع[٣].

تلك عشرة كاملة، وإن كـان في زوايـا الكـتب والروايـات الكثير منها.

وأمّا الآيات التي ادّعى الكاتب أنّها نزلت في فضلهم، فليدلنا عليها!!

إذ ليس إلا آية بيعة الرضوان تحت الشجرة، وهذه ـكما يقول العلماء ـ: قضية خارجيّة مختصّة بجماعة خاصّة، وهم خـصوص مَن بايع تحت الشجرة، فلا تشمل غيرهم.

مع أنَّ آخرها يصرِّح بالتهديد لمن كفر بعد ذلك.

وفي آية أخرى يصرّح بسوء العاقبة لمن نكث بعد ذلك.

وفي ذلك كلّه إشعار بتوقّع النكث والكفر من بعضهم بعد ذلك.

بل التصريح بوقوعه متحققٌ بعد وفاة النبي ﷺ من قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُم عَلَى أَعْقَابِكُم وَمَنْ يَنْقَلِب عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾[٤].

---

(١) الاستيعاب: ٤ / ١٨٣، المصنف: ٧ / ٣٨١ باب حد الخمر، ٩ / ٢٤٧.

(٢) فتح الباري: ١٢ / ٨١.

(٣) المصنف لعبد الرزاق: ٩ / ٢٤٧.

(٤) ال عمران: ١٤٤.

فإن منعت دلالة هذه الآيات والروايات على مدّعانا، فالمنع عن مدّعاك ممّا ذكرتَ من آيات وروايات أولى وأولى.

وكذا آية الوعد: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾[1].

وهذه الآية ظاهرة في الوعد من الله للمؤمنين به حقاً بأن يجعلهم المستخلفين في الأرض وأن يعطيهم الأمان بشرط أن يتوجّهوا بالعبادة إلى اللّه وأن لا يشركوا به شيئاً؛ وإلاّ فمن يكفر به فهو في عداد الفاسقين المساوين للكفّار في العقاب، على ما يستفاد من آيات أخر، بل لا يبعد مساواة الفسق للكفر في نفسه كما يمكن استظهاره من بعض الآيات، وللعلماء وأهل التفسير في هذه الآية آراء متعدّدة:

فقد قال الفخر الرازي ـ تبعاً للزمخشري ـ في تفسيره[2] بأنّها دالّة على صحّة خلافة الخلفاء الأربعة فإنّهم هم الذي آمنوا ولم يبدّلوا ولم يغيّروا.

ووافقه البيضاوي، فقد تحقّق مصداقه المنحصر فيهم، وقالوا:

---

(١) النور: ٥٥.

(٢) الكشاف: ٣ / ٢٥٢.

ما اجتمع الموعود والموعود به إلّا لهم.

وقال آخرون: هي دالّة على الاستخلاف للمسلمين جميعاً بعد نصرهم على الكفار في الجزيرة، أو بعد فتح مكّة، فهي مساوقة ومرادفة لقوله تعالى: ﴿اليَوْمَ يَئِسَ الذينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُم فَلاَ تَخْشَوهُم وَاْخْشَونِ..﴾[1].

ولقوله تعالى: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي...﴾[2].

وقالت طائفة ثالثة بأنَّ الموعودين بهذا هم الأئمة عليهم السلام وأنَّ موعدهم معلوم عند اللّه مخفيّ علينا، وهو المرويّ عن أئمتنا عليهم السلام، والذي ذكره الشيخ الطبرسي في مجمع البيان.

وعلى هذه التفاسير المختلفة لا تتمّ دعواهم على إرادة الخلفاء الأربعة، أضف إلى ذلك عدم دعواهم النصّ على استخلافهم وخلافتهم، بل هم بين من ادّعي نصبه بالشورى[3] وبين من نصب بالتعيين من سابقه[4] وبين من جعلها شورى بين

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) كدعواه نصب الخليفة الأوّل.

(٤) كتنصيب أبي بكر للخليفة الثاني حيث إنّه قد نصَّ عليه، وقد سبق من أمير المؤمنين ذلك له فقال للثاني: «احلب حلباً لك شطره... فلشدَّما تشطرا ضرعيها..».

ستّة[1] وأمر بحبسهم في دار إلى ثلاثة أيّام. جاعلاً الأمر بيد عبدالرحمن بن عوف.

ولمّا عوتب الخليفة الثاني على ذلك قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي ـ يعني أبا بكر ـ وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي ـ يعني رسول الله بدعواه أنّه لم يستخلف ـ.

واعتقدوا أنَّ في ذلك فضيلة له من التوجّه للتخيير بين الأمرين.

ولكنَّ الحقّ المبين هو أنّه بلا دليل ولا مرشد. وليست إلّا السياسة المدبَّرة والمبيَّتة منه لمن يليه. وأيّة شورى تلك التي يحبس فيها المرشَّحون وهم المرشِّحون أنفسهم؟ وهل فيهم خير أن لو انتخبوا مَن لم يرتضه عبد الرحمن أن يضرب عنق الممتنع؟ وبأيّ وجه شرعيّ يقتل؟ فهو إمّا خليفة للمسلمين، وإمّا مقتول، وإمّا موافق للآخر، ولو كان ذا باطل؟

وأمّا بقيّة الآيات: ففيها أمرٌ لهم باتباع النبي ﷺ واستماع أوامره وعدم التقدّم عليه، وإعزازه والرجوع له في الحكم في ما لو شجر بينهم نزاع أو خصومة، وأمثال هذه الموارد.

وليس فيها من مدح لهم تلميحاً فضلاً عن التصريح به.

---

(١) كما صنع ذلك الخليفة الثاني في شوراه المشهورة.

ولعلَّ أعمَّ ما يتصور دلالته على دعوى تلك المنزلة لهم هـي من قِبَل قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ وَالَّذِيـنَ مَـعَهُ...﴾[1] فتستفيد ذلك مـن المـعيَّة المـوجودة فـيها. فـنسأل: أيّـة مـعيَّة هي المقصودة في الآيـة ؟ لا شكَّ أنَّ المـعيَّة البـدنيَّة ليست ذات أثر حتى تقصد. فكم من رجل بـدنه مـعك وقـلبه عـليك. إذن فالمقصود منها المـعيَّة القـلبيَّة والعـقليَّة. ولذا لم يكـتف القـرآن بهذا المعنى من المعيَّة بل صرَّح بما ذكرنا في آخر الآية فقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّـهُ الَّذِيـنَ آمَـنُوا وَعَـمِلُوا الصَّـالِحَاتِ مِـنْهُم مَـغْفِرَةً وَ أَجْرَاً عَظِيمَاً﴾[2].

ولا يخفى الوجه في ذكر كـلمة ﴿مـنهم﴾ فـإنَّه عـلاوة عـلى عدم إرادة المعيَّة الجسديَّة ـ وهي عمدة أدلتكم في تحقيق الصحبة بـالرؤية البـصريَّة ـ قـد نـصَّ عـلى خـصوص المـؤمنين منهم والذيـن يـعملون الصـالحات مـنهم، لا مـطلق مـن كـان معه. وهل يحتاج عاقل لأكثر من هذا البيان لفـهم التـخصيص منها !!؟.

وأمَّا الروايات التي يدّعي صدورها في مدحهم: فلا تزيد على عدد الأصابع ـ هذا إذا صحَّ صدورها ـ حيث قد ناقش في سندها

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) الفتح: ٢٩.

الكثير من أعلامكم[١].

وبعد كلٍّ هذا؛ فمن الواضح أنَّ الفتوحات المنتسبة إليهم يحتاج الأمر فيها إلى إثبات عدالتهم قبلها وبعدها. إذ ليس من شرائط

(١) فارجع لكتاب: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني في مناقشته للأحاديث التي رويت في مدحهم. وكذا لكتاب إحقاق الحق للسيد المرعشي، ولكتاب اللآلىء المصنوعة للسيوطي. وأمّا حديث العشرة المبشرة بالجنّة فهو مما تقطع بأنّه موضوع على لسان النبي للمناقشة في سنده ومتنه. ولمخالفته لضرورة العقل والنقل. إذ كيف يسوغ من الحكيم أن يعطي الأمان لهم مع علمه بأنَّ منهم من لم يدخل الإيمان قلبه قط؟ ومنهم من سيرتكب ما يخالف أوامره عزَّ وجلَّ في مستقبل عمره؟ بل منهم من ارتكب الذنب غير المغفور عندهم وهو الاشتراك في قتل خليفة المسلمين: عثمان؟ بل إنَّ ما بينهم من الحرب والكلمات يكشف كشفاً قطعياً عن وضع هذا الحديث!. ولنا في هذا الحديث بحث مستقل نسأل الله التوفيق لطباعته.

وأمّا حديث:«أصحابي كالنجوم..» فقد طعن فيه شيخهم ومن إليه يرجعون وهو ابن تيميّة فقد ذكر الشيخ محمود أبو رية أنّه بعد طبع كتابه أضواء على السنّة المحمديّة لقيه محب الدين الخطيب فلامه على ما كتب، وقد كان بمرأى من حديث:«أصحابي كالنجوم» فأجابه الشيخ بأنَّ هذا الحديث ضعيف، وقد ضعّفه علماؤكم. فقال: مَن؟

قال: أنت ؛ في تعليقك على كتاب المنتقى للذهبي! فاشتدّ غضبه. وقال: في أي صفحة من كتابي؟ قال: ص ٥٥١، وفيها: يقول ابن تيميّة: «وحديث أصحابي كالنجوم ضعّفه أئمة الحديث فلا حجّة فيه» فبهت الخطيب.

عن كتاب المنتقى من آراء علماء المسلمين ص ٤٢ للسيّد مرتضى الرضوي.

الفاجر لبلدٍ أن يكون عدلاً متقيّاً. إذ قد روي: أنَّ اللّه ينصر هـذا الدين ولو بالرجل الفاسق أو الكافر[1]؟!

وما ذكره من سلسلة اللوازم على الطعن في الصحابة؛ من لزوم الجرأة على القرآن والطعن فيه أو لزوم الطعن في السـنَّة لأنَّ ذلك طعن في حَمَلَتِها. وتشويه أمجاد الإسلام وحضارته.

فكلّ تلك لوازم فاسدة. بل هي غير لازمة للكشف عن فساد بعضهم. أو كـذب دعـواه الصـحبة له. أو دعـواهـم الصـحبة له ﷺ قط.

فإنَّ صدور طعن في بعض الصحابة ليس مانعاً عن الروايـة عن الصحابة الآخرين الذين لم يرد فيهم طعن. والفـرض عـدم توقف الوثوق بالسنَّة أو وصول القـرآن وتـواتـره عـلى أولئك الأشخاص المطعون فيهم.

والخلاصة: أنَّ الذي يبدو لنا أنَّ هذا الكاتب ليس له غرض أساسي في توثيق وتعديل كل الصحابة. ولكنَّه لمَّا لم يجد طريقاً أو وجهاً يستطيع به توثيق الشيخين وبعض من تابعهم ومـالأهم. أضطرَّ للقول بعدالة كل الصحابة. فوقع في مشكلة أكبر منها.

فارجع أخي القارىء إلى رشدك وأبحث عن الحقيقة. فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل. وستسأل في قـبرك ويوم القيامة عن معتقداتك. بل ستسأل حتى عـن الأشـخاص

(١) صحيح مسلم: ١/١٠٥.

الماضين والمعاصرين لك، إذا كان توليهم ديناً يدان به، فهيء جواباً يصنع لك طريقاً من قبرك للجنَّة، فإنَّك ستكون وحدك في قبرك، ولن ينفعك فلان وفلان حباً ولا دفاعاً، بل النافع لك هو اتباعك للحق، والحقُّ بتصريح النبيّ ﷺ عند عليّ: «**عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ**»[1].

فانظر لحالك إن لم تكن معه، فمن الآن فسارع والتحق بركب عليٍّ ؑ قبل أن يعاجلك الفناء، وليس بعد ذلك إلا الحساب، وحينئذٍ لسان حال المتخلف عن ركب عليّ: ﴿**رَبِّ ٱرجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا**﴾[2]

النقطة الرابعة[3]: غزوات النبي ﷺ:

لقد استند في الأدلة التي عرضها من آيات وروايات إلى ما ورد من مدح للصحابة في ما بذلوه في الغزوات مع النبي ﷺ من نفس ونفيس من مال وأولاد وعتاد، وهذا المدح من القرآن لهم

---

(١) مجمع الزوائد: ٧ / ٢٣٦ وقال: إنَّ رجاله رجال الصحيح إلا سعد بن شعيب، وهو اشتباه من النساخ فهو سعيد بن شعيب شيخ صالح صدوق راجع في ترجمته تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ٤ / ٤٨، سنن الترمذي: ٣ / ١٦٦، جامع الأصول: ٩ / ٤٢٠، المستدرك: ٣ / ١٣٤، والكثير من المصادر الأخرى.

(٢) المؤمنون: ١٠٠.

(٣) قد ذكر هذا الكاتب بعض غزوات النبي وبعض الآيات النازلة فيها، فراجع كتابه: صحبة رسول الله ﷺ: ص ٢٣ وما بعدها.

قد خلّدهم، وسدَّ طرق الطعن عليهم أو تخوينِهم في أدب التلمذة والتعلّم من النبي ﷺ.

ولنأخذ جولة سريعة حول تلك الآيات التي ادَّعى توافرها على هذا المعنى.

فهنا مواقف:

الموقف الأوّل: ما يتعلّق بمعركة بدر:

في مرحلة التهيؤ لها كان المسلمون من جهة قد أخذتهم هيبة قريش وقوتها، وكثرة عدَّتِها وعتادها، ومن جهة أُخرى: لابدَّ لهم من إثبات صحَّة موقفهم وتمسكهم بالدين الجديد.

فمن غلب عليه الجانب الأول ظهرت منه علائم النفاق والضعف والتخاذل.

وأمَّا من غلب عليه الجانب الثاني فقد أظهر البسالة والثبات.

فمثل المقداد الذي قال للنبي ﷺ: «إنَّا لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾، ولكن نقول لك: تقدما وقاتلا ونحن معكم»[1]...

فاقرأ ما نزل من آيات في معركة بدر الكبرى؛ فقد كان جلُّ سورة الأنفال في معركة بدر، وتأمل في مضمون ما سنتلو عليك من آيات عبر مقاطع:

---

(١) تفسير الكشاف: ٢ / ١٩٨.

المقطع الأوّل منها: خروج المسلمين للحرب

قال تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِن المُؤمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُم كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى المَوْتِ وَهُم يَنْظُرُونَ * وَإِذْ يَعِدُكُم اَللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُم وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُم وَيُرِيدُ اَللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ البَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المُجرِمُونَ*﴾ الأنفال ٥ ـ ٨.

ففي هذه الآيات صراحة ما بعدها صراحة في أنَّ قسماً من الصحابة كان كارهاً للدخول في حرب مع قريش. ومن المُبرِّرات ما ذكرناه سابقاً. ومنها ما هو معروف من أنَّهم لا رغبة لهم في محاربة قومهم وإن كانوا كفاراً. ولذا عبَّرت الآية بقوله ﴿يُجَادِلُونَكَ﴾. والمجادلة وقعت حول الحق. وهل الصحابة المتبعون للنبي في كل أمورهم يجادلون في الحق. أيها الكاتب المحترم ؟؟

ومَنْ هم الكارهون: هل هم فريق من الكفار أم فريق من المؤمنين ؟؟.

ويناسب هنا أن نذكر ما يؤيد كراهة البعض الخروج للقتال. فقد أخرج مسلم والحاكم وابن كثير والبيهقي حين أخبرهم الرسول بقدوم قافلة أبي سفيان فتكلَّم أبوبكر فأعرض ﷺ عنه.

وتكلم عمر فأعرض ﷺ عنه، ثمَّ قام سعد بن معاذ فتكلم، فسُرَّ ﷺ بقول سعد ونشَّطه[1]» ولكنَّ مثل صاحب تفسير الكشاف[2] ممَّن خان الأمانة فقال: «فتكلم أبوبكر فأحسن وتكلم عمر فأحسن..» ومحا بتزويره إعراض النبي عنهما[3].

وأمَّا الخليفة الثالث فلمَّا ساءت علاقته مع المصاهر له والمُنَصَّب له خليفةً في شورى الستَّة عبدالرحمن بن عوف، لقيه الوليد فسأله عن عدم حضوره مجلس الخليفة، فأجابه: أن أبلغ عني الخليفة أنِّي لم أغب عن بدر، ولم أفرَّ يوم عينين «أحد»[4].

---

(١) صحيح مسلم: ٣ / ١٤٠٣ ـ ١٤٠٤ برقم ١٧٧٩، المستدرك: ٣ / ٢٨٣ برقم ٥١٠٤، السيرة النبويَّة لابن كثير: ٢ / ٣٩١ ـ ٣٩٥، دلائل النبوة للبيهقي: ٣/١٠٦.

(٢) تفسير الكشاف: ٢ / ١٩٨.

(٣) وقيل إنَّ ما قالاه فيه نظر لعزَّة قريش وأنَّها ما ذلت مذ عزَّت..ونظير هذا الكلام الذي أوجب من النبي الإعراض عنهما، فلاحظ مغازي الواقدي: ١ / ٤٨، ولكنَّ حبُّ الشيء يعمي ويصم !!

(٤) تاريخ المدينة: ابن شبة ٣ / ١٠٣٣، مسند البزار: ٢ / ٥٢، وفيه تبرير من عثمان لمَّا وصله كلامه بأن قال: أمَّا إنَّما لم أحضر بدراً لمكان ابنة رسول الله ﷺ وأمَّا الفرار من معركة أحد فقد عفا الله ورسوله عمن فرَّ من المعركة» واللطيف في الأمر أنَّ الخليفة عثمان قد فرَّ عن محل المعركة حتى وصل إلى ينبع، فاحسب المسافة بين جبل أحد في المدينة ومدينة ينبع، وعليك استنتاج مقدار شجاعة الخليفة وبسالته !! حتى قال له النبي لمَّا رجع: لقد ذهبت بها عريضة.

وفيه تعريض بغيابه عن بدر. والذي عبَّر عنه البعض بالفرار، وذلك لخروج كل المسلمين فيها أو أغلبهم، إذ كانت هي المعركة الفاصلة. وتعريض بفراره في معركة أحد كما سيأتي.

هذا كله مع سبق وعد الله لهم إمَّا اغتنام القافلة التي خرجوا لها ـ عِيْر قريش ـ وإمَّا النصر. ومع كل هذا لم تكن لهم رغبة في ذلك.

فإن لم يكن ما صدر منهم حاكياً لامتناع؛ فلا أقل من الشك في وعد الله لهم. فماذا تقول أيها الشيخ الجليل؟

ولِمَ غضضت النظر عن مثل هذه الآية ولم تذكرها ؟؟

المقطع الثاني: أجواء المعركة وما بعدها

قوله تعالى: ﴿وَٱعلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَٱبنِ السَّبِيلِ إنْ كُنتُم آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرقَانِ يَوْمَ ٱلتَقَى الجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ * إذْ أَنتُم بِالعدْوَةِ الدُّنيَا وَهُم بِالعدْوَةِ القُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُم وَلَوْ تَوَاعَدْتُم لأختَلَفتُم فِي المِيعَادِ وَلٰكِن لِيَقْضِي ٱللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلَكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإنَّ اللَّه لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ * إذْ يُرِيكَهُم ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُم كَثِيراً لَفَشِلتِم وَلَتَنَازَعتُم فِي الأَمْرِ وَلٰكِنَّ ٱللَّه سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِم لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ الأنفال ٤١ ـ ٤٤.

فهذه الآيات تبين وجوب الخمس في ما ظفر به المسلمون من غنائم، ولكنّها وإن كانت نزلت في غنائم معركة بدر، ولكنّ خصوص المورد لا يخصص الوارد، ولذا فهي تشمل كل ما يغنمه الإنسان من شيء، بقرينة قوله تعالى: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ والغنيمة مطلق الفائدة.

ثمّ تبين الآيات موقع المسلمين بالنسبة للمشركين، وقرب ركب قريش منهم، كما يبين أثر الرؤيا التي أراه اللّه إياها في نفوس المسلمين حيث قلّلهم في أعين المسلمين، وكثّر المسلمين في أعينهم، ولو أراهم للمسلمين على ما هم عليه في الواقع لتنازعوا في الإقدام على الخروج إليهم ومحاربتهم، وبالطبع نتيجة التنازع الفشل، والخلاصة بيان امتنان اللّه عزَّ وجلَّ على المسلمين بأن سلّمهم من ذاك المكروه، رغم أنّهم كانوا مهيئين للتنازع والفشل لو لا أنَّ اللّه سلَّم...

المقطع الثالث: الأنفال .. حكمٌ وحكم

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ

وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾.[1]

وفي هذه المقاطع من الآيات يبين القرآن حكم الأنفال، ولكنَّ الذي يظهر من آخر الآية أنَّهم قد اختلفوا فيها وتخاصموا ـ كما تشير له بعض الروايات ـ ولذا قال في آخرها ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾، والأمر بالتقوى ليس إلا لإمكان فعل مخالف للتقوى ومنافٍ لها، وكذا أمرهم بإصلاح ذات البين ليس إلا لوقوع ما يوجب النزاع والتخاصم، ثمَّ التعقيب على ذلك بوجوب إطاعة اللَّه ورسوله وأنَّ إيمانهم مشروط بالالتزام بتلك الإطاعة.

ومن الشواهد على وقوع التخاصم بينهم ما رواه أبو أمامة قال: سألت عبادة ابن الصامت عن الأنفال ؟ فقال: «فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل، فساءت فيه أخلاقنا فانتزعه اللَّه من أيدينا وجعله لرسوله، فقسَّمه رسول اللَّه بين المسلمين»[2].

بل في بعضها ممَّا مرَّ من المصادر السابقة: أنَّ النبي أمر أحدهم بوضع السيف الذي غنمه في موضع ما يأخذه المسلمون فقال: وضعته ورجعت وفي نفسي شيءٌ لا يعلمه إلا اللَّه !!

---

(١) الأنفال: ١

(٢) مسند أحمد: ٥ / ٣٢٢، السيرة النبويَّة: ٣ / ٢١٩، مجمع الزوائد: ٧ / ٢٦، تفسير ابن كثير: ٢ / ٢٨٤، وتوجد نصوص أخرى مقاربة لها في الألفاظ.

فيا ترى ما هو الذي في نفسه؟ أيها الكاتب!!؟

وفي رواية أخرى له: قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها، فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم أحقّ بها منّا ...، وقال الذين أحدقوا برسول اللّه: لستم بأحقّ بها منّا؛ نحن أحدقنا برسول اللّه...»[1]

المقطع الرابع: قضية الأسرى

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيَا واَللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ واَللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلاَ كِتَابٌ من اَللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُم فِيمَا أَخَذْتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾الأنفال: ٦٧ ـ ٦٨.

ومن الواضح أنَّ مفاد الآية اختلاف المسلمين في الأسرى، فبعض يقول: اُقتلوهم، وبعض يقول: ائتسروهم، فبيَّن اللَّه عزَّ وجلَّ أنَّ الأسر إنَّما يكون بعد الإثخان في الأرض لا قبله، ولذا بيَّن في آية أخرى من سورة محمد أنَّ حكمهم ضرب رقابهم أو الفداء[2].

وبهذا رفع اللَّه اختلاف المسلمين حولهم، ثمَّ بيَّن أنَّ الأسر

---

(١) الدر المنثور: ٤ / ١٠٥. وأخرى مثلها: ٤ / ١٠٨.

(٢) وقد أمر الرسول ﷺ عليّاً بأن يقتل اثنين وهما عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث، وأخذ الفداء من ثمانية وسبعين رجلاً ـ تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٦.

موافق لعرض الدنيا لا للآخرة، وأنَّ سبق أمر اللّه أوجب عدم استحقاقهم للعذاب العظيم فيما لو أقدموا على ما أرادوا.

فكيف كانوا كذلك ؟ وكيف صدر منهم ذلك ؟ ألم يكونوا يرجعون في كل أمورهم للرسول ؟ وهل المتبعون لخطى النبي ﷺ والذين لا يحيدون عنه قيد أنملة يختلفون كهذا الاختلاف ؟

وفي هذا المقطع أكبر دلالة على أنَّ الرضا والعفو الذي ادعاه الكاتب لكل أهل بدر ليس في محله، إذ أنَّ بعضهم أهل عرض الدنيا وآخرون من أهل الآخرة، كما أنَّ بعضهم راغب في الغنائم لا في عزَّة الإسلام، وبعضهم ليس إلا لأخذ الثأر والانتقام.

فكيف يُدَّعى شمول العفو والرضوان لهم كلهم ؟

وكيف يدعى أنَّ لهم الحق في أن يذنبوا ما شاؤا ويرتكبوا من المعاصي ما أرادوا حتى في مستقبل أيامهم !!؟

والحق أنَّ التأمل في آخر الآية يقضي بأن يكون عفو الله عنهم لكتاب سبق منه في ذلك، لمصلحة غيبيَّة لا نعلمها، وقد خفيت علينا، والشاهد على هذا ظهور أمارات استحقاق العذاب العظيم.

المقطع الخامس: صورة من المعركة

قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُم..﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ ﴿إِذْ يُغَشِّيكُم النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِن السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُم

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾ الأنفال: ١١.

ففي الشق الأول منها لمَّا طرقهم الخوف من كثرة قريش استغاثوا باللَّه عزَّ وجلَّ فأمدَّهم اللَّه بألف، وقيل بثلاثة آلاف، وقيل: إنَّ القراءة آلاف من الملائكة، فأورثهم ذلك اطمئناناً، ولذا غشيهم النعاس للأمن الذي حصَّلوا عليه، ولو لم يكن أمن لما غشيهم النعاس، فناموا فاحتلم أكثرهم وضربهم العطش فأمطرهم اللَّه حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضؤا وشربوا من الماء ما شاؤا[1].

وبعد كل هذه الجولة فيما يتعلق بمعركة بدر لم يظهر لنا شيءٌ مما أدعاه هذا الكاتب من دلالة الآيات على رضا الله عزَّ وجلَّ عن كل الصحابة مطلقاً ما مضى منهم وما سيأتي.

الموقف الثاني: ما يتعلّق بمعركة أحد:

لقد أنزل اللَّه في ما يتعلق بمعركة أُحُد ما يقارب ستين آية من سورة آل عمران ـ كما ذكر الكاتب ـ ولكنَّه لم يذكر من تلك الستين إلا ثلاث آيات أو أربع، وكأنَّها ليس فيها أمر ذو أهميَّة للكاتب أو ممَّا يمس الصحابة فأهمل ذكرها ؟ ولعل فيها ما لا يوافق غرضه من الكتاب ؟

أو أنَّ فيها ما يوجب نقض غرضه، خاصة مع ضمِّ الروايات

---

(١) تفسير الكشاف: ٢ / ٢٠٣ بتصرف.

المتعلقة بمعركة أحد ؟

فَلِمَ - يا أخي الكاتب - تحاول إخفاء الحقائق التاريخيَّة المتعلقة بالموضوع؟!

وهب أنَّ هذا تمَّ لك وقبلناه : ولكن ما الموجب لإخفاء بعض الروايات المتوافرة في الصحاح والأسانيد ؛ والمُفَسِّرة لبعض الآيات النازلة حول المعركة ؟

ولو قبلنا أنَّ كتب المؤرخين والسِّيَر كانت كلها أساطير بنظرك - وإن كان نظراً قاصراً وغير ذي بعد علمي - فهل أنَّ صحيحي البخاري ومسلم أساطير ؟؟

وهل أنَّ كل كتب الحديث الأخرى أساطير أيضاً ؟

وهل يسوغ في البحث العلمي أن يرمي الباحث كل مادَّة علميَّة لا توافق رغباته وآراءه بأنَّها أساطير وترهات وخرافات؟؟

فإلى متى إخفاء ما لا يمكن إخفاؤه ياأيها المدَّعون الاتباع للسنَّة ؟؟.

المقطع الأوّل: مقدّمات المعركة:

لمَّا أن انهزمت قريش في معركة بدر اتَّعدت[1] لطلب الثأر؛

(١) أي أعطت وعداً على نفسها وعهداً منها، وأوعدت المسلمين بالعودة لقتالهم، ثأراً لما أصابهم من معركة بدر .

فجمعت عدَّتها وعَتَادِهَا وتهيَّأت للثأر. فكتب العباس للنبي ﷺ بذلك. فكان رأي النبي ﷺ أن لا يخرج من المدينة لرؤيا رآها. ولكنَّ الأنصار أشارت عليه بالخروج. ولمَّا همَّ ﷺ بذلك ولبس لأمَة[1] حربه ردَّت إليه الأنصار الأمر، وقالوا: لا تخرج؛ فقال: الآن وقد لَبِستُ لأمَة حربي ولا ينبغي لنبي إذا لبسها أن ينزعها حتى يقاتل ويفتح عليه[2].

وعلى هذا الأساس خرج الرسول ﷺ في ألْفٍ من أصحابه، ولمَّا وصلوا منطقة خارج المدينة انخذل عنه عبدالله بن أبي بن سلول في ثلث القوم. ولمَّا وصل النبي ﷺ جبل أُحُد تحصَّن في سبعمائة من رجاله، وجعل خمسين رجلاً على الجبل وأمرهم بالثبات سواء انتصرنا أم هُزِمْنَا.

ولكنهم لمَّا رأوا المسلمين قد انتصروا ودخلوا على المشركين يغنمون من أموالهم نزلوا عن الجبل خلافاً لأمر النبي، وبقي اثنان أو ماينيف. فلما رأى المشركون ذلك كرُّوا على المسلمين من فوق الجبل فجرى ماجرى على المسلمين من ويلات. فضُرِب النبي وشجَّ رأسه وكسرت رباعيته وأغمي عليه، وقد فرَّ المسلمون لذلك...[3].

---

(١) اللامة واللأمة: أداة الحرب من درع ومغفر وسيف و..و.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٧.

(٣) صحيح البخاري: ٤ / ١٤٨٦ حديث ٣٨١٧. أنساب الأشراف للبلاذري: ١ / ٣١٨ وغيرها من المصادر.

المقطع الثاني: خديعة الاعلان عن موت النبي ﷺ

قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُم عَلَى أَعْقَابِكُم وَمَنْ يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ الشَّاكِرِين﴾ آل عمران: ١٤٤.

كان المسلمون قد بايعوا النبي ﷺ على أن ينصروه ولا يخذلوه في موقف من المواقف. وقد سبق منَّا بيان خذلان بعضهم له بالكلام قبل معركة بدر.

وأمَّا في معركة أحد ففيها ظهرت خفايا نفوس لم تكن لتظهر لولا امتحان اللَّه لهم بهذه المعركة. فاعلم أنّه لمَّا رمى ابن قمئة الحارثي رسولَ اللَّه بحجر فكسر رباعيَّته وشجَّ وجهه تقدَّم ليقتله. فذب عنه مصعب بن عمير حتى قتله ابن قمئة هذا. فظنَّ أنّه قتل النبي فنادى ـ وقيل: إنَّ المنادي هو الشيطان ـ أنْ: «قُتِلَ محمدٌ» ففشا في الناس خبر قتله فانكفأوا فناداهم رسول اللَّه: إليَّ يا عباد اللَّه.. فرجعت له فئة فَلاَمَهُم على هربهم[1] فقالوا: يارسول اللَّـه أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولَّينا مدبرين.

وقد روي أنّه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين: ليت

---

(١) وفي تفسير الطبري ٤ / ١٢١ أشار لما فيه تأنيب اللَّه عباده الذين فرُّوا عن العدو يوم أحد وتركوا قتالهم.

عبدالله بن أبي يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان [1]. ولم يَـرُق لهـذا المُفَسِّر أن يذكر من هم أولئك البعض. ولكن في بعض كتب السير أنَّهم كانوا جماعة من كبار الصحابة.

وقد نقل السيوطي في تفسيره للآية فقال: ذلك يوم أُحُد حين أصابهم ما أصابهم من القتل والجرح، وتداعوا نبيَّ اللّٰه؟ قالوا: «قد قُتل». وقال جماعة منهم: لو كان نبيًاً ما قُتل. وقال أناس من عِلْيَةِ أصحاب النبي ﷺ: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيُّكم حتى يفتح اللّٰه عليكم أو تلحقوا به.

وذكر لنا أنَّ رجلاً من المهاجرين مرَّ على رجل من الأنصار يتخبط في دمه. فقال له: أشعرت أنَّ محمداً قد قُتِل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمَّدٌ قد قُتِل فقد بلَّغ. فقاتلوا عن دينكم. فأنزل اللّٰه تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِل...﴾ يقول: ارتددتم بعد إيمانكم [2].

المقطع الثالث: غلبة المسلمين لولا... شواهد بلسان الفارّين

قال تعالى: ﴿وَلَقَد صَدَقَكُم ٱللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ

---

(1) تفسير الكشاف: ١ / ٤٢٢ ـ ٤٢٣، تاريخ الطبري: ٢ / ١٧٩، مغازي الواقدي: ١ / ٢٨٠، تفسير ابن كثير: ١ / ٦٤٩، والسيرة النبوية له: ٣ / ٦٨.

(2) الدر المنثور: ٢ / ٣٣٥.

﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُم وَتَنَازَعْتُم فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَا تُحِبُّونَ مِنْكُم مَنْ يُرِيدُ الدُّنيَا وَمِنكُم مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُم عَنهُم لِيَبْتَلِيكُم وَلَقَد عَفَا عَنْكُم وَاللَّه ذُو فَضْلٍ عَلَى المُؤمِنِينَ * إِذْ تُصعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُم فِي أُخْرَاكُم فَأَثَابَكُم غَمّاً بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُم وَلاَ مَا أَصَابَكُم وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ*﴾ آل عمران: ١٥٢ ـ ١٥٣.

فقد بيَّنت الآيات ظهور المسلمين على المشركين، وكاد النصر أن يكمل ولكنَّ رؤية المسلمين للغنائم أعجلهم بترك أماكنهم، فتنازعوا الترك وعدمه[١]، وكانت كلمة الفصل بنزولهم عن الجبل الذي كان يكوِّن ظهراً للنبي يحميه عن الأعداء. فما إن ارتفعت الحماية عن النبي ﷺ بعصيان المسلمين لأوامر النبيِّ حيث رأوا ما يُحبُّون من الغنائم، حتى أجهز الكفار عليهم بأن تحوَّطوهم من أعلى الجبل بقيادة خالد بن الوليد. ولكنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ قد عفا عن أولئك العصاة وتفضل عليهم بالمغفرة[٢].

---

(١) قالوا: واللّه لنأتين الناس فنصيبَنَّ من الغنائم. فعصوا وانطلقوا ولم يبق منهم إلا عبد الله ومعه دون العشرة. صحيح البخاري: ٤ / ١٤٨٦ حديث ٣٨١٧.

(٢) ومما يؤسف له أنَّ هذا الكاتب لا يقتصر تقطيعه للنصوص والشواهد على كتب التاريخ والسيرة، بل تعدى حتى بالنسبة للقرآن. فنجده هنا يستقطع من ←

ثمَّ بيَّنت موجب العفو عنهم، وهـو الذنب الذي ارتكبـوه في المعركة ولمَّا تنتهِ بعدُ، ألا وهو فرارهم من الزحف وهو المعبَّر عنه بقوله: ﴿تُصْعِدُون وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُم فِي أُخْرَاكُم﴾.

ولعلَّك لا تصدِّق بصدور هذا الذنب منهم، والعلَّة هي كونهم صحابة[1]، فهاك بعض الشواهد على مـا ذكـرنا مـن الذنب[2] والمعصية:

١ ـ قال محمد بن مسلمة: «سمعتُ أذناي وأبـصرتْ عـيناي رسول اللَّه ﷺ يقول يومئذٍ وقد انكشف الناس إلى الجبل وهـم يلوون عليه وإنَّه ليقول: إليَّ يا فلان، إليَّ يا فلان، أنا رسول اللَّه! فما عرج منهما واحد عليه ومضيا»[3].

← الآية أولها وآخرها، ويكتفي منها بقوله ﴿ولقد عفا عنكم﴾، ولكن لا يـغيب عن الأخ القارىء أنَّ العفو من الأمور ذات التعلق، فلو سأله شخص: عن أي شيءٍ عفا اللَّه عنهم، فإنَّ العفو فرع تحقق المعفو عنه، ولابدَّ أن يكـون ذلك عن ذنب صدر منهم؟ كل هذه الاستفسارات حاول الكاتب إخفاءها عن القارىء.

(١) والعجب لا ينقضي منهم! إذ كيف يحاولون إثبات صدق صحبتهم من مثل هذه الآية بتصريحها بالعفو عنهم، ويثبتون من جهة أخرى أنّهم مفعوٌ عـنهم لكونهم من الصحابة، ألا يلزم الدور الباطل من هذا الاستدلال؟؟

(٢) فقد كان الصحابة أنفسهم يعدونه ـ على بساطتهم ـ ذنباً ويعترفون به، فـما الداعي لك أيها الكاتب لأن تنفي عنهم ما يثبتونه لأنفسهم؟.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحـديد المـعتزلي: ١٥/٢٣ ـ ٢٤ عـن مـغازي الواقدي.

وفي هذا أكبر شاهد على تحقق الفرار من بعض الصحابة، والفرار من الزحف يعدُّ من الكبائر، بل من أكبر الكبائر.

٢ ـ فقد روت أمُّ المؤمنين عائشة عن أبيها: «كان أبوبكر ـ إذا ذكر يوم أحد ـ بكى ثمَّ قال: ذاك يوم طلحة... ثمَّ أنشأ يحدث قال: كنتُ أول من فاء[1] يوم أحد.. فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله فقلت: كنْ طلحة التيمي؛ حيث فاتني مافاتني، يكون رجلاً من قومي...»[2]، ولا يخفى أنَّه مع اعترافه بالفرار يتمنى أن يكون المنافح عن رسول الله هو طلحة بن عبيد الله التيمي لأنَّه من قومه، ولكنَّ أمنيته لم تتحقق فقد كان طلحة من الفارِّين أيضاً، فاستمع لهذا الخبر لتعرف ذلك:

٣ ـ «لمَّا دوَّن عمر الدواوين جاء طلحة بنفر من تيم يستقرض

---

(١) فاء: رجع.

(٢) الطبقات لابن سعد: ٣ / ١٥٥. السيرة النبوية لابن كثير: ٣ / ٥٨. كنز العمال: ١٠ / ٢٦٨. البداية والنهاية لابن كثير: ٤ / ٢٩ ـ ٣٢. تاريخ الإسلام للذهبي: ص ١٩١. المستدرك للحاكم: ٣ / ٢٧. تاريخ الخميس: ١ / ٤٣١. وغيرها من المصادر. والمناسب ذكره أنَّهم يروون: «أنَّ أبابكر أشجع الناس لأنَّه ثبت مع النبي مدافعاً عنه يوم بدر. في عريش النبي» مجمع الزوائد ٩ / ٤٦١. وقد ينسبون الرواية إلى علي ﷺ حتى تكون أقرب للقبول. ولكن للأسف فالرواية قد رواها بلا إسناد. وقال عنها الهيثمي: فيها من لم أعرفه. بل يكذبها صحيحة ابن إسحاق من أنَّ سعد بن معاذ هو الذي كان يحرسه يوم بدر: عيون الأثر لابن سيد الناس ١ / ٢٥٨. فتأمل!!.

لهم. وجاء أنصاري بغلام مصفَّر سقيم. فسأل عنه عمر فأُخبِر أنّه البراء بن أنس بن النضر؛ ففرض له أربعة آلاف. وفرض لأصحاب طلحة ستمائة. فاعترض طلحة. فأجابه عمر: إني رأيت أبا هذا جاء يوم أُحُد وأنا وأبوبكر قد تحدثنا: أنَّ رسول الله قد قُتِل؛ فقال: يا أبا بكر ويا عمر: مالي أراكما جالسين؟ إن كان رسول اللّهِ قُتل فإنَّ الله حيّ لا يموت»[1].

وقال أنس بن مالك: «إنَّه لمَّا انتهى إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيدفي رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا بأيديهم. فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتِل محمد رسول الله [2].

٤ ـ كان عثمان ممَّن فرَّ وجاء بعد ثلاثة أيام من الواقعة فقال له رسول الله ﷺ: لقد ذَهَبْتَ بها عريضة[3].

---

(١) تاريخ الطبري: ٢ / ١٩٩. لباب الآداب: ص ١٧٩.

(٢) الكامل في التاريخ لعز الدين ابن الأثير: ٢ / ١٥٦. دلائل النبوة: ٣ / ٢٤٥. وقد نصَّ في مجمع الزوائد على أنَّ من الفارِّين أبو بكر وعمر فراجع: ٩ / ١٢٤ وذلك بإخراج الطبراني والبزار. كما أنَّ رجال الثاني هم رجال الصحيح إلا محمد بن عبد الرحمن ومحله الصدق.

أقول: وليس يضر ذلك عندهم ما دام الله عزَّ وجلَّ قد عفا عنهم وغفر لهم تلك الخطيئة. وهذا ليس مطلبنا. ولكن يكفينا منه ثبوت أنَّ من الصحابة من لم يكن بتلك المرتبة التي تنسب له من قبل المتأخرين عن تلك الحقبة الزمنيَّة. إذ مع اعترافهم أنفسهم بذلك فما الداعي لإنكارنا وقوعه منهم؟.

(٣) الكامل في التاريخ: ٢٨/٤. تاريخ الطبري: ٦٩/٢. السيرة الحلبيَّة للحلبي: ٢ / ٥٠٤. وقيل بأنَّه وصل في فراره إلى ينبع وكما حدَّث هو عن نفسه.

٥ ـ قال الذهبي: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد فبقي معه أحد عشر رجلاً. وقال: أفرد يوم أحد في سبعة نفر من الأنصار وآثنين من المهاجرين[1]. وقيل: معهم سهل بن حنيف.

٦ ـ أخفى عثمان بن عفّان أحد جنود قريش وهو معاوية بن المغيرة بن أبي العاص «ابن عمه» وقد أخبر الله نبيّه بذلك فأصدر أوامره بجلبه وقتله. ولمّا جاءوا به ادّعى عثمان أنّه جاء يطلب الأمان له! فأعطاه الرسول الأمان له ثلاثة أيّام. لكنّه لم يخرج وبقي ثلاثاً يستعلم أخبار الرسول ليأتي بها قريشاً. ولما عاد الرسول ﷺ في اليوم الرابع فرّ معاوية. فأدركه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فرمياه حتى قتلاه[2].

٧ ـ ذكر الحاكم عن سعد: «لمّا جال الناس عن رسول الله ﷺ تلك الجولة تنحيتُ. فقلتُ: أذود عن نفسي. فإمّا أن أستَشهد وإمّا أن أنجو.. إلى أن قال: فقال رسول اللّه ﷺ: أين كنتَ اليوم يا سعدُ؟ فقلتُ: حيث رأيتَ»[3].

وغيرها الكثير من المواقف والحوادث التي يتنزه القلم عن

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ص ١٩١، صحيح مسلم: ٥ / ١٧٨، أقول: كان الاثنان من المهاجرين هما علي ابن أبي طالب وسهل بن حنيف، ولكن أقلامهم تأبى عن ذكر ذلك. فلاحظ الرسالة العثمانيّة ص ٢٣٩، وكذا شرح النهج: ١٣ / ٢٩٣.

(٢) النزاع والتخاصم: ص ٢٠، السيرة الحلبيّة: ٢ / ٢٦٠.

(٣) المستدرك للحاكم النيسابوري: ٣ / ٢٦.

ذكرها، ويترفّع عن التعرّض لها، لوضوحها ومعرفة كل أحد بها.

ولا ينقضي العجب من هذا الكاتب وأمثاله حيث يحاولون التصفيق بيد واحدة، فيرموا عن غير قوسهم. ويركبوا غير مركبهم، كل ذلك انتصاراً لأقوام ذهبوا بأعمالهم ولهم حسابهم الخاص عند اللَّه.

ولعلَّهم أسفوا لمَّا لم يشاركوهم في مثل تلك الأمور، فهبّوا للدفاع عنهم حتى ينالوا ما نالوا ؟؟

المقطع الرابع: القرآن يتحدّث عن الفارّين

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الأنفال: ١٥٥.

فإنَّ الآية أصرح ممَّا قبلها في بيان تحقق الفرار من الزحف خوفاً من المشركين. ففي تفسير الكشاف التصريح بأنّه لم يبقَ مع الرسول إلا سبعة أو أحد عشر أو اثنا عشر... وفي دلائل النبوة للبيهقي: عندما سُئِلَ ﷺ عن الفارّين من أرض المعركة يومئذٍ، قال: كفر عامَّتهم[1].

وعلى كلّ حال: فليس غرضنا بيان حكمهم، من حيث

(١) دلائل النبوة: ٣ / ٢٨٣.

الثبات أمام العدو أو الفرار. ولكنّها روايات تُذكر في الباب فأحببنا ذكرها، تنويهاً على حال الصحابة، في مقابل ما دلّس به هذا الكاتب على القُرّاء من إخفاء ما ينبغي إظهاره. أو التمسك بما هو ظاهر من صفاتهم لكل أحد وتعميمها على جميعهم، وكأنّه ليس يوجد غيره من صفات وأحوال.

وأمّا آخر هذا المقطع، والذي اقتطع الكاتب مثيله من آية أخرى، وهو صدور العفو من ساحة القدس الإلهي ـ وهو العفوُّ الكريم ـ فهو مزيد تفضل ومنّة من الله عزَّ وجلَّ عليهم، لعلّهم يتّقون في مستقبل أيامهم ولا يرجعوا إلى مثلها، وذلك من حيث إنَّ الشيطان قد استزلّهم فتابعوه، خاصة وأنّهم قد سبق منهم بيعته ﷺ على أن ينصروه ويؤازروه وأن لايخذلوه، فكان ذلك منهم خروجاً عن عهدهم، ونقضاً له، ومع كلّ هذا فقد عفا الله عنهم.

والسؤال الذي أثاره هذاالكاتب، ونحتاج للإجابةعليه هو: أنَّ عفوالله ومغفرته عنهم عفوٌ عن كل ذنوبهم حتى المستقبليّة منها، فضلاً عن الماضية فيما قبل المعركة ؟ أم أنّه عفوٌ عمّا صدر منهم في هذه المعركة من الفرار الذي صدر منهم ليس إلا ؟

إنَّ الذي يُستفاد بل يَنُصُّ عليه بعض المفسرين كتفسير ابن كثير والكشاف والبيضاوي والرازي، بل الجلُّ منهم: أنّه عفوٌ عمّا صدر منهم هنا في هذه الواقعة. إذن فتعدية العفو لغيره من المعارك

أو المواقف ـ فضلاً عمّا يصدر بعدها في مستقبل أيّامهم ـ ليس منظوراً إليه في الآية إطلاقاً.

فمن يدّعيه يُحمِّل النص ما لا يتحمل، بل ينسب إلى القرآن وإلى الرسول، بل إلى الله عزَّ وجلَّ ما لم يقله وما لم يُرِده، بلا دليل أو بينة وبرهان مبين.

وما الداعي إلى أن يعفو عنهم فيما يصدر عنهم مستقبلاً؟ وهل هو إلا تغريرٌ بهم وإلقاء لهم في المعصية؟ وبعد ذلك، ما فائدة التكليف لهم؟ إذ أنّهم معفوٌّ عنهم في كل ما يصدر أو سيصدر عنهم مستقبلاً، فهم في الجنَّة على كل حال أحسنوا أو أساؤا؟!.

وأي عاقل يرى أنَّ عفو السيِّد عن مولاه وعبده في ذنبٍ صدر منه في يوم ما بأنّه عفوٌ صدر منه في حقّ كلّ ذنوب عبده ذاك؛ السابقة والمستقبلة ؟؟

حاشا وكلاًّ للعقلاء أن يدَّعُوا ذلك!

المقطع الخامس: ردّة الفعل المعاكسة

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ *﴾ آل عمران: ١٧٢ـ١٧٣.

لمّا رجع المسلمون من أُحُد سمعوا بأنَّ أبا سفيان يهمُّ بالرجوع لهم وإعادة الكرَّة عليهم في المدينة، فتهيأ النبي ﷺ للقتال وعزَّم بأصحابه أن يهبُّوا معه، فخرجوا بعد لأْيٍ شديد، وامتناع من البعض[1]، والبعض استجاب مباشرةً، فخرجوا وخيَّموا في حمراء الأسد، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أرعب قلوب المشركين فرجعوا إلى مكَّة، ولم يتقدموا إلى المسلمين، فرجع المسلمون سالمين في أنفسهم، وقد تفضل الله عليهم بالنعم، واختلف فيها: فقيل هي السلامة، وقيل التجارة التي ربحوها، وقيل رضا الله وعفوه عنهم، وقيل إرعاب المشركين...

وعلى كلِّ حال، فالآية متصلة بما قبلها، فالاسم الموصول هنا راجع للمؤمنين المذكورين في الآية السابقة، فهم الذين استجابوا للّه وللرسول، ولذا قال النبي ﷺ: لا يخرج معنا إلا من شهد الواقعة بالأمس.

ولكنَّ تتمة الآية فيها مزيد اختصاص لجماعة منهم - في ما لو بنينا على أنَّ كلمة «منهم» للتبعيض - فمفادها أنَّ الذين أحسنوا واتقوا من الذين استجابوا، لا كل الذين استجابوا، فهي تتعرض لحكم مَنْ أحسن وأتقى ممَّن استجاب فقط. وهذا هو المعنى

---

(١) إذ أنَّ من أخبرهم بعزم أبي سفيان - وهو أبونعيم وقيل غيره وهو المقصود من كلمة الناس - الرجوع، قد أرعبهم منه وخوَّفهم لقاءه، علاوة على كثرة الجرحى بينهم.

الظاهر منها.

خلافاً لما ذكره صاحب الكشّاف والفخر الرازي وغيرهم من دعوى إرادة التبيين، وأنّ كل الذين استجابوا أحسنوا واتقوا، فهي دعوى بلا برهان، إذ أنَّ إحسانهم مشكوك فيه، خاصة بعد أن صدر منهم ما صدر في الأمس المذكور وهو يوم أُحُد. ولذا ذكر في الكشاف أنَّ النبي ﷺ قال لهم: سوف أخرج، وأقاتلهم، ولو كنت وحدي: «حسبنا ٱللَّه ونعم الوكيل».

الموقف الثالث: ما يتعلق بمعركة الخندق:

وقد سُمّيت الأحزاب لتحزب قريش والقبائل واليهود، وكانوا نحو عشرة آلاف فارس. والمسلمون كانوا ثلاثة آلاف، وفي هذه المعركة الكبيرة نزل ما يصل إلى تسع آيات من سورة الأحزاب.

ولكنَّ هذا الكاتب ـ كعادته ـ اقتصر منها على ثلاث آيات وهي مما يوافق هواه، وترك ما يمكن أن يخدش بكرامة مَنْ ينافح عنهم مستميتاً بماله ودمه وقلمه وفكره. فاستمعْ لهذه الآيات لترى صحَّة دعوانا وكذب دعواه على إطلاقها:

المقطع الأوّل: صور من نعم الله عزّوجلّ

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيكُم إذْ جَاءَتْكُم جُنُودٌ فَأرسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَـرَوْهَا وكَـانَ

ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً * إِذْ جَاءُوكُم مِن فَوْقِكُم وَمِن أَسْفَلَ مِنكُم وإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَت القُلُوبُ الحَنَاجِر وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ٱبتُلِي المُؤمِنُونَ وَزُلزِلُوا زِلزَالاً شَدِيداً*﴾ الأحزاب: ١١.

في هذه الآيات تذكير من ألله عزَّ وجلَّ بنعمته على المسلمين بأن أعانهم على ردِّ تلك الجنود حيث جاءوهم من جانبين: من الأعلى وهم اليهود والقبائل، ومن الأسفل وهم قريش.

كما بيَّنت الآيات الحالة النفسيَّة للمسلمين من خلال الفزع الذي انتابهم بصورتين: زاغت الأبصار: أي مَالَتْ وكادت أن تأفل وتطير من محلها، وبلغت القلوب الحناجر، كنايةً عن قرب الموت لهم.

فظنوا ظنَّ السوء بالنبي ونبوَّة النبي فقالوا: لو كان نبي حقٌّ لما خذله ربُّه، وهو ظنُّ سوء بالله عزَّ وجلَّ، وشكٌّ في حقيَّة رسالة النبي ﷺ.

وإليك شاهداً على ذلك الخوف والقلق النفسي والشك الذي انتابهم: فقد ذكر البيهقي[1] في سننه الكبرى عن حذيفة: قال رجل: لو أدركتُ رسول الله قاتلتُ معه أو أبليتُ. فقال له

---

(١) سنن البيهقي: ٩ / ١٤٨.

حذيفة: أنتَ كنتَ تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة ومرَّ ﷺ فقال: ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة. فلم يجبه منَّا أحدٌ. ثمَّ نادى الثانية ثمَّ قال: يا حذيفة قم فأتِنَا بخبر القوم. فلم أجد بدّاً من ذلك. وقد ذكر اسمي. وقد رواه مسلم أيضاً[1].

ومن عباراتهم قول معتب بن قشير: كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ونحن لا نقدر الآن أن نذهب إلى الغائط [2].

وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ خطاب للذين آمنوا. هذا مع أنَّ منهم الثابت القلب والقدم. هذه طائفة خاطبها القرآن. والطائفة الثانية الذين هم على حرفٍ. والثالثة هم المنافقون الذين لم يكن الإيمان إلا بألسنتهم.

فأمَّا قول المنافقين؛ فقد حكاه القرآن. وأمَّا قول مرضى القلوب فهو ما حكيناه سابقاً عن معتب وأمثاله. وأمَّا قول المؤمنين فهو: أنَّنا مُبْتَلَوْن من الله في هذه الوقعة. ولذا حكى عنهم القرآن ﴿..وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً..﴾

وأمَّا ضعاف القلوب فهم الذين قالوا: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً..﴾

---

(١) صحيح مسلم: ٣ / ١٤١٤.

(٢) تفسير الكشاف: ٣ / ٥٢٦.

المقطع الثاني: وكان عهد الله مسؤولاً

قوله تعالى: ﴿وَلَقَد كَانُوا عَاهَدُوا ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْئُولاً * قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُم الفِرَارُ إنْ فَرَرْتُم مِن المَوتِ أَوْ القَتْلِ وَإذاً لاَ تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً *﴾ الأحزاب: ١٥ ـ ١٦.

من الأمور التي أوجبت زيادة خوف المسلمين ووجيبهم هو مخالفة بعض القبائل لهدنتها مع النبيّ، ونقضها للعهد المضروب منهم للنبيّ بأن لا يحاربوه ولا ينتصروا لغيره عليه، وهذا الذي أوجب لهم الخوف ونقض ما عاهدوا رسول‌الله في بيعتهم له بعد تراجعهم له في أحد حيث أخذ العهد عليهم أن لا يفروا ثانية وإلا نزل بهم العذاب، وبأن لا يولُّوا الأدبار، ولا يفرُّوا من الزحف، والتقريع والإيعاد من الله لهم واضح من قوله: ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْئُولاً﴾، فإنَّهم سيسألون عن ذلك العهد، وما كان منهم اتجاهه، وهل حافظوا عليه أم نقضوه وجعلوه وراء ظهورهم؟

ثمَّ يعقب على ذلك بأنَّ الفرار الذي صدر منكم لن ينفعكم، فإنَّ الموت ليس ممّا يختصُّ تحققه بأرض القتال والمعركة، بل هو بيد الله يجعله حيث يشاء ويوقعه بمن شاء وقتما يشاء.

ونضيف هنا توضيحاً للإشكال: إنَّ الذين عاهدهم الله على عدم الفرار هل هم الصحابة أم المنافقون أم الكفار؟ وهل أنَّ الفرار وقع منهم أم لا؟ وهل حصَّلوا على ما أمَّلوا من الفرار أم لا؟

نرجو من الكاتب أن يتأمل في النصوص القرآنية جيداً قبل أن تمسك يده بالقلم مرَّة أخرى.

المقطع الثالث: من الذي لم يؤمن واقعاً؟!

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ الأحزاب: ١٨ ـ ١٩.

وحقيقة الأمر أنَّ الله يعلم حال هذه الطائفة من الصحابة، فهم ظاهراً مؤمنون، بل يتظاهرون بذلك أمام المؤمنين، ولكنَّهم إنَّما يسايرون المؤمنين لتثبيطهم عن الحرب ومنعهم من الخروج مع الرسول ﷺ لمقاتلة المشركين بعد ذلك، وكانوا يقولون: ما كان محمدٌ وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لحماً لأكلهم أبو سفيان.

فكانوا يستدعون ضعاف القلوب من الصحابة إليهم ويثبطونهم عن القتال، لكنَّ كلَّ هذا لا يعني أنَّهم لم يكونوا من الصحابة ظاهراً، خاصة على معنى الصحبة عندكم، وهو: من رأى النبي زماناً، أو مَن رآه وصحبه وروى عنه.

وكذا على المعنى المختار لك أيها الكاتب بأنَّ الصحابي من آمن

بالنبي وصحبه ولو لفترة، ولا شكَّ أنَّ هؤلاء ممَّن رآه وآمن بـه، ولكن هكذا تكون القلوب المريضة التي لم تؤثّر فيها الصحبة، وكما وصفها القرآن فقد قال تعالى حاكياً عـنهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[1]. فتراهم يُسايِرون المؤمنين إلا أنَّ قلوبهم ليست معهم، ويخافون أن يتخطفهم الموت، والمعبَّر عنه في الآيات بالبأس، فلا يقدمون عليه إلا للدفاع عن أنفسهم.

ولكن بعد انتهاء المعركة يُحادُّون المؤمنين بألسنتهم طلباً للغنائم، وكأنَّهم قاتلوا معهم، ولذا أخبر في آخر الآية بأنَّهم يُظهرون لكم الايمان، ولكنَّهم ليسوا مؤمنين واقعاً: ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾.

المقطع الرابع: من آمن وصدّق وآزر؟

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾الأحزاب: ٢٢.

هذا بيان لقسم من الصحابة الذين قد ناصروا النبي وصدقوا ما عاهدوا عليه، وهم الذين بلغوا من الايمان الدرجة الكبيرة،

---

(١) البقرة: ١٤.

ولذا فلم يزدهم تجمُّع الأحزاب خوفاً، و لم يورثهم شكاً في دينهم، أو في رسالة نبيهم، كما وقع ذلك للطائفة السابقة من الصحابة: فقال حاكياً حالهم: ﴿وَيَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾، حيث ظنُّوا ظنَّ الجاهليَّة. ولكنَّ هذا ليس مدحاً لكل الصحابة؛ كما هو واضح.

وعلى هذا يتَّضح أنَّ الصحابة لم يكونوا كلّهم على نسقٍ واحدٍ، وفي درجة واحدة من الإيمان بالنبي وبحقيَّة رسالته. بل كانوا يتفاوتون في ذلك. وهذا في حد ذاته ليس عيباً فيهم، ولكنَّ العيب والنقص فيمن يدعي لهم ما لا يدعونه لأنفسهم.

المقطع الخامس: بطل المعركة الخالد...

ما يتعلّق ببطل المعركة الكبير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: فمن المؤسف جداً أن يحاول هذا الكاتب اللفَّ والدوران حول آيات العفو والغفران للصحابة. ويعطف على ذلك بآيات التأييد والنصر من قبل ٱللَّه عزَّ وجلَّ للمؤمنين، دون تعرض لمن تمَّ النصر والتأييد على يده وبسيفه.

ففي معركة بدر الكبرى كان أكثر قتلى المشركين بيد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وكذا في أُحُد. وهكذا في معركة الخندق هذه.

فمن الذي برز لعمرو بن عبد ودّ العامري حينما طلب المبارزة

من المسلمين؟ هاك النصوص التي تحكي ذلك:

١ ـ قال حذيفة لبعضهم: . . .«يا لُكَع وكيف لا يحتمل؟ وأين كان أبو بكر وعمر وحذيفة ـ يعني نفسه ـ وجميع أصحاب محمد ﷺ يوم عمرو بن عبد ودّ، وقد دعا إلى المبارزة فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً، فإنَّه برز إليه وقتله على يده.

والذي نفس حذيفة بيده لَعَمَلُهُ ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمد ﷺ إلى يوم القيامة»[١].

٢ ـ روى الحاكم في المستدرك قول النبي ﷺ: «لَمُبَارَزَةُ علي بن أبي طالب لعمرو ابن عبد ودّ يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة»[٢].

وفي لفظ آخر: أفضل من عبادة الثقلين. وفي ثالث: تعدل عمل الثقلين.

فياترى لو سألنا هذا الكاتب: هل كان من الحق والعدل والإنصاف أن تهمل ذكر رجل كان سبب النصر في تلك المعركة

---

(١) الإرشاد للمفيد: ١ / ١٠٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣ / ٣٢ ـ ٣٤. وراجع ما يقرب من هذه الألفاظ: تاريخ بغداد: ٣ / ١٩، مناقب الخوارزمي: ص ١٠٤. المغازي للواقدي: ٢ / ٤٧٠ ـ ٤٧١، عيون الأثر: ٢ / ٦٢، نهاية العقول للرازي: ص ١٠٤، البداية والنهاية لابن كثير: ٤ / ١٢٢، دلائل النبوة: ٣ / ٤٢٢، سيرة ابن هشام: ٣ / ٢٦٥، الطبقات لابن سعد: ٢ / ٦٨، السيرة الحلبيّة: ٢ / ٣٢٠.

بل في غيرها أيضاً، محاولاً إخفاء الحقيقة الناصعة، وتجعله كأحد عامّة الصحابة الذين تمتدحهم لمجرد صحبتهم ؟

وهل تعدل مَنْ تساوي أو تفضل ضربَتُه فقط في ذلك اليوم لعمرو بن عبد ودّ كل أعمال الثقلين بل عبادتهم، وإلى يوم القيامة، تعدله بمن جبن عن قتال الأبطال ؟

فما لكم كيف تحكمون !!؟

وهل بقي المسلمون وتمّ لهم النصر لولا سيف علي‌ﷺ في ذلك اليوم، وفي غيره من أيّام المسلمين، فأين تشدّقك في الكثير من خطبك وكلماتك عبر الإنترنت وغيره بحبّ علي، وبأنّك الموالي له والمحبّ، والمبغض لعدوه ؟؟ وهل ينفتل المحبّ عن ذكر محبوبه ؟؟

أم هل يقدر المحبّ على أن لا يطيع محبوبه ؟ بل يرى اللذّة كل اللذّة ومنتهى الكمال أن يتوصل لإداء فرض المحبّة من الطاعة والولاء، أليس كذلك أيها المحبّ الواله !!؟

الموقف الرابع: ما يتعلّق بصلح الحديبيّة:

لقد وقع صلح الحديبيّة في السنة السادسة من الهجرة، ومنشأ ذلك: أنَّ النبي‌ﷺ قد رأى رؤيا أنّه دخل البيت، وحلق رأسه، وأخذ مفتاح البيت، وعرّف مع المعرّفين، فخرج ومعه ألف وأربعمائة من أصحابه، وكان خارجاً قاصداً للعمرة لا الحرب، فمنعته قريش من دخول مكّة، وتمّت المراسلات بينهم حتى تمّ

الصلح المذكور، وكان الكاتب للصلح هو علي ﷺ [1]، فكان سلام الله عليه هو مبعوث الرسول ﷺ إلى قريش [2]. وكان الصلح بشروط معينة مذكورة في محلها.

وهنا عدَّة مقاطع:

المقطع الأول: الفتح المبين إرادة الله ونظر الصحابة

قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ..﴾ سورة الفتح: ١ ـ ٢.

والمراد أنَّ الله عزَّ وجلَّ سيرزقك الفتح المبين مستقبلاً. وهذا الصلح مقدمةٌ له ليس إلا، بل هو الفتح واقعاً حيث إنَّ قريش اعترفت بوجود مستقل للنبي ﷺ، ولرسالته وللقوة التي عنده، فاضطرت للمصالحة معه والمهادنة لمدَّة عشر سنين، فجرى الصلح كما أراد النبي بإرادة الله، ولكنَّ قِصَر نظر البعض أوجب امتناعهم عن ذلك وتأبيهم عن قبوله. فصدر منهم ما أغضب الرسول. فاستمع لهذا الكاتب ما يقول: «الاشتياق إلى مكَّة يفوق

(١) روى في المصنف ٥ / ٣٤٣ رقم ٩٧٢١ عن عكرمة بن عمار قال: أخبرنا أبو زميل سماك الحنفي أنَّه سمع ابن عباس يقول: كاتب الكتاب يوم الحديبيَّة علي بن أبي طالب وقال معمر: سألتُ الزهري فضحك وقال: هو علي بن أبي طالب ولو سألت عنه هؤلاء ـ يعني بني أميَّة ـ لقالوا: عثمان.

(٢) تاريخ الطبري: ٢ / ٦٣٠.

الوصف، وقد بُشِّروا بدخولها، ولكنَّ محبَّتهم للرسول وطاعته والتأسي به والزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله هي سمة ذلك الجيل»[1].

واقرأ ما نتلوه عليك هنا لترى صحَّة دعواه من كذبها:

١ ـ روى البخاري أنَّ عمر بن الخطاب كان يسير مع النبي ﷺ ليلاً فسأله عمر عن شيء فلم يُجبه رسول الله ﷺ. ثمَّ سأله فلم يجبه، ثمَّ سأله فلم يجبه، فقال عمر ـ يخاطب نفسه ـ: ثكلتك أُمُّك يا عمر؛ نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كلّ ذلك لا يجيبك.

قال عمر: فحركتُ بعيري ثمَّ تقدمتُ أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فيَّ قرآنٌ، فما نشبتُ أن سمعتُ صارخاً يصرخ بي، قال: لقد خشيتُ أن يكون نزل فيَّ قرآنٌ، فجئت رسول الله فسلَّمت عليه، فقال: لقد أُنزلت عليَّ الليلة سورة هي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس، ثمَّ تلا: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾[2].

---

(١) صحبة رسول الله: ص ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) قد حكى هذه النسبة للبخاري الكثير من المصادر، ولكنَّنا لم نعثر عليهافي الموضع المحتمل وجود الرواية فيه وهو: ٢ / ٩٧٨، ولكنَّ كل من ذكر الرواية نسبها للبخاري، فلعلها حُذِفت من الطبعات الجديدة، ومنها: تفسير القرطبي: ١٦ / ٢٥٩ نقلها بلفظ البخاري وفيه: ثكلت أم عمر، تفسير ابن كثير: ٤ / ١٨٤ وفيه: تقدمتُ مخافة أن يكون نزل فيَّ شيء، مسند أبي يعلى: ١ / ١٣٨، البداية والنهاية: ٤ / ١٧٦، الإمتاع: ص ٣٠٢.

٢ ـ قال في الدرر الكامنة[١]: عظم الصلح على نفر من المسلمين حتى كان لبعضهم فيه كلام.

أقول: ولم يصرح بهذا البعض مَنْ هو؟ تحاشياً عن ذكر اسمه لئلا يستلزم منقصة توجب زوال الهالة القدسيَّة حوله، لكونه من كبار الصحابة، مع عدم توجههم إلى أنَّ ذلك الشخص يعترف على نفسه بذلك، ولا يجد في نفسه مانعاً عن ذكر هذا الكلام عنه.

٣ ـ روى البخاري[٢]: قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتيتُ نبي الله ﷺ.

فقلتُ: ألستَ نبي الله حقاً؟ قال: بلى.

قلتُ: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى.

قلتُ: فلمَ نعطي الدنيَّة في ديننا إذاً؟ قال: إني رسول اللّه، ولست أعصيه وهو ناصري.

قلتُ: أو ليس كنت تحدثنا أنَّا سنأتي البيت فنطوِّف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنَّا نأتيه العام؟

ثمَّ خرج من عنده وجاء أبا بكر وحدّثه بما حدّث به النبيﷺ

---

(١) الدرر الكامنة: ١ / ١٩٣.

(٢) صحيح البخاري: ٢ / ٩٧٨ برقم ٢٥٨١، صحيح مسلم: ٣ / ١٤١١، واللفظ هنا للبخاري.

فأجابه بما أجابه. قال الزهري: قال عمر: فعملتُ لذلك أعمالاً!!!(١)

٤ ـ قال الواقدي في مغازيه:...جعل عمر يرد الكلام على رسول الله...(٢)

٥ ـ وفي نفس المصدر السابق: ارتبتُ ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمتُ إلا يومئذٍ، وراجعتُ النبي مراجعة ما راجعته مثلها قط، ولو وجدتُ ذلك اليوم شيعةً ـ وفي رواية مائة ـ على مثل رأيي، تخرج عنهم رغبة عن القضيَّة لخرجتُ(٣).

وفي هذا الكلام دلالة واضحة على الرغبة في التمرد على قرار النبي بالصلح، ولكنَّ المشكلة هي عدم وجود الأنصار.

٦ ـ ذكرنا سابقاً: أنَّ النبي ﷺ أمر الصحابة بعد الصلح أن يحلقوا وينحروا هديهم، فلم يقم أحدٌ منهم، فدخل إلى أمّ سلمة شاكياً لها حال أصحابه، فقالت: لا عليك منهم، أخرج وأحلق.

---

(١) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١ / ٥٩: إنَّ من الأعمال التي عملها أن قطع شجرة الرضوان التي بايع الناس عندها رسول الله، وكان المسلمون يأتونها فيتبركون بها، وقال السيوطي في تفسير هذه الآية: قال عمر: ما شككتُ إلا يومئذٍ.

أقول: إنَّ متعلق الشك غير مذكور فلعله أبهم، والإبهام للتعميم والتعظيم!!.

(٢) كتاب المغازي: ٢ / ٦٠٦.

(٣) مغازي الواقدي: ٢ / ٦٠٧.

فخرج وحلق وذبح، فقاموا متثاقلين الواحد تلو الآخر، فحلق جماعة وقصَّر آخرون[1]، منهم عثمان بن عفَّان[2].

٧ ـ وبعد ذلك الصلح قال رسول الله: يرحم الله المحلِّقين. قالوا: والمقصِّرين؟

قال: يرحم الله المحلقين. قالوا: والمقصرِّين؟

قال: يرحم الله المحلقين. قالوا: والمقصرِّين؟

قال: والمقصرين. قالوا: يارسول الله؛ فلمَ ظاهرتَ الترحّم للمحلِّقين دون المقصرِّين؟ قال: لأنَّهم لم يَشُكُّوا[3].

المقطع الثاني: السكينة عامة أم خاصّة...؟

قوله تعالى: ﴿هُوَ الذِّي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ المُـؤمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إيمَاناً مَعَ إيمَانِهِم وَلِـلَّهِ جُنُودُ السَّـمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمَاً حَكِيمَاً﴾ الفتح: ٤.

ليس من الأمور الخافية أنَّ السكينة التي أنزلها ٱللَّه هي في قلوب المؤمنين، لا في قلوب كل الصحابة، كما يمكن لهذا الكاتب

(١) البداية والنهاية: ٤ / ١٦٩.

(٢) مسند أحمد: ٣ / ٨٩ حديث ١١٨٦٥، طبقات ابن سعد: ٢ / ١٠٤.

(٣) مسند أحمد: ١ / ٣٥٣ حديث ٣٣١١، تاريخ الطبري: ٢ / ٦٣٧، البداية والنهاية: ٤ / ١٦٩، وفي رواية قال مالك بن ربيعة: وأنا محلوق يومئذٍ فما سرَّني حمر النعم أو خطر عظيم. الطبقات لابن سعد: ٢ / ١٢٤.

أن يدعيه، إذ أنّه قد مرَّ عندنا سابقاً ـ عبر بعض الآيـات ـ نـفيُ الإيمان عن بعض الصحابة واقعاً، وإن كانوا محكومين بالإيمان على حسب ما يُظهِرُونَهُ أمام المؤمنين.

كما أنَّ منهم مرضى القلوب الذين تحدث القرآن عنهم في آيات متعددة: ﴿وأَمَّا الذِّينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَتْهُم رِجسَاً إلَى رِجْسِهِم﴾[1]، ﴿أفي قلوبهم مـرضٌ أم ارتـابوا﴾[2]، ﴿فـترى الذين في قلوبهم مرضٌ يسارعون فيهم﴾[3].

فهل أنَّ السكينة التي أُنزِلَت عمَّتهم كلَّهم أيُّها الكاتب؟ وقد رأينا أنَّ منهم الشاكَّ، ومنهم المرتابَ، ومنهم المنافِق، والمـثبِّط، و..و..؟

المقطع الثالث: بيعة الرضوان الأمل والمآل

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ المُؤمِنِينَ إذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِم فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِم وَأَثَابَهُم فَتْحَاً قَرِيبَاً﴾

تتعرض هذه الآية لما وقع من بيعة الرضوان تحت الشـجرة المعروفة بشجرة الرضوان، والتي قدَّمنا سابقاً أنَّ الخليفة الثـاني

(١) التوبة: ١٢٥.

(٢) النور: ٥٠.

(٣) المائدة: ٥٢.

قطعها بعد ذلك وفاءاً لوعده الذي ضربه على نفسه في صلح الحديبيَّة بقوله: «فعملتُ لذلك أعمالاً».

حدَّث سلمة بن الأكوع فقال: بينا نحن قافلون من الحديبيَّة نادى منادي النبي ﷺ: أيّها الناس؛ البيعة.. البيعة، قال: فسرنا إلى رسول الله، وهو تحت شجرة سَمُرَة، فبايعناه، وذلك قول ٱللَّه عزَّوجلَّ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾.

كما قد ذُكِرَ في سبب نزولها: أنَّ الرسول ﷺ حين نزل الحديبيَّة بعث جوَّاس بن أميَّة الخزاعي رسولاً إلى أهل مكَّة. فهمُّوا به، فمنعه الأحابيش، فلمَّا رجع دعا عُمَرَ ليبعثه فقال: إنِّي أخافهم على نفسي، لِمَا عُرِف من عداوتي إيَّاهم. وما بمكَّة عَدَوِيٌّ يمنعني. ولكن أدلُّك على رجلٍ هو أعزّ بها مني وأحبّ إليهم: عثمان بن عفَّان فبعثه...»[1]

ولقد حاول هذا الكاتب أن يثبت أنَّ الصحابة كلَّهم ممدوحٌ، وكلَّهم عدولٌ من خلال هذه الآية، بقرينة أنَّ الرضا في الآية عامٌّ شاملٌ لكلِّ الصحابة، ولكنَّ ما رامه ليس ممَّا يمكن إثباته من هذه الآية فضلاً عن غيرها من الآيات لوجوه:

أوَّلاً: إنَّ متعلق الرضا في الآية هم «المؤمنون» وليس

---

(١) تفسير الكشاف: ٤ / ٣٣٩. وأخرجه أحمد من رواية عروة عن المسور ومروان

الصحابة لفظاً ولا معنى، وذلك لعدم اعتبار كل الصحابة مؤمنين، وهذا مسلَّم حتى بالنسبة للكاتب لو أعطى التأمل حقَّه. فالمرضيُّ عنه مَن تعنون بعنوان المؤمن، وليس من اتصف بأنَّه من الصحابة، وإن كان المؤمنون من الصحابة. لكن قد ثبت أن في الصحابة من خرج عن الايمان، فلا تنافي بين الأمرين.

ثانياً: قد اعترف الكاتب بأنَّ منادي الجهاد نادى: لا يخرج معنا إلا من شهد الواقعة. فممَّن خرج معهم جابر بن عبد الله وهو من الذين لم يشهدوا المعركة معهم[1]. لكنَّه من المؤمنين حقاً فلم يمانع النبي في حضوره معهم، وذلك لمعرفته به.

وممَّن كان في بيعة الرضوان عبدالله بن أبي، رئيس المنافقين، ومن المعروف المسلَّم أنَّ عبد الله هذا ممَّن شهد البيعة.

وممَّن حضر البيعة أيضاً الحرقوص بن زهير السعدي أو التميمي، وهذا صار من رؤوس الخوارج بعد ذلك. بل هو الذي قال للنبي، «أعدل يا محمد». وقد تقدم منَّا ذلك.

ثالثاً: إنَّ متعلق الرضا في الآية مبهم، وعلى هذا فلا يمكن لنا ولا له بأن نحدد متعلق الرضا ما هو ؟

ولكنَّ الذي يمكن البحث فيه هو أنَّ الإهمال لمتعلق الرضا لا يمكن من قبل الحكيم تعالى، حيث يلزم أن يكون صدور الرضا

---

(١) صحبة رسول الله ﷺ: ص ٢٦.

منه تعالى عنهم سواء فعلوا ما يوجبه أو لا. وكذا الإطلاق غير ممكن في المقام، وذلك للزوم أن يصدر الرضا منه تعالى عنهم حال صدرو أي فعل، وفي كل زمان ـ الماضي والحاضر والمستقبل ـ وكلّ مكان، وهذا ما لا يلتزم به عاقلٌ، خاصّة مع ملاحظة آيات العذاب لبعضهم وما نزل فيهم، وتكفينا شاهداً على هذا سورة الفاضحة ـ التوبة ـ.

إذن: فليس إلا تقييد الرضا. فلابدَّ من كون الرضا مقيَّداً بالرضا في زمان خاصٍّ وعن فعل مخصوص في ظرف قد اختصَّ به، والمرضيُّ عنهم جماعةٌ خاصّة كما نصَّت عليه الآية، علاوة على كون ذلك غايته ذلك الزمان، دون ما بعده من الزمان.

إذن: فلا دلالة في الآية على شيء من الإطلاق ممّا يروم إثباته هذا الكاتب.

المقطع الرابع: من هم السابقون

قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: ١٠٠.

لقد حاول الكاتب جاهداً إقناع القارىء بأنَّ الصحابة لا يمكن أن تصل لساحتهم أقلام النقد والطعن من أي أحدٍ، بل

تشدق بمنع خيال المتخيل للطعن، وهو من المبالغة المفضوحة، خاصة مع وجود القرائن على صحة نقد الناقد، بل واقعيَّة ذلك في حد ذاته، وباعتراف كبراء القوم به.

بل الآيات التي بعدها والتي قبلها تؤلّف منظومة واحدة في المعنى الذي نروم بيانه، من عدم استواء عدالة الصحابة وإخلاصهم وإيمانهم على درجة واحدة.

فيا ترى إلى متى نظل نكابر عقولنا ووجداننا؟

وعلى كل حال فهاك بعض الكلمات حول هذه الآية، تنفع في ردّ ما ذكره وإثبات ما منع من تحققه، فضلاً عن تصوره، فضلاً عن تخيله:

أوّلاً: إنَّ الحكم المذكور في الآية هو ـ كما يقول العلماء ـ من القضايا الخارجيَّة، أي من الوقائع الخاصة الشخصيَّة المختصة بأشخاص بأعيانهم، ومثل هذه القضايا لا يمكن تحصيل حكم كلي منها.

فالسابقون جماعة خاصة، والمهاجرون كذلك، والذين اتبعوهم بإحسان مثلهم، لكن هم ليسوا كل متبع لهم، بل خصوص من اتبعهم باختيار منهم وإحسان، فلا تشمل الآية المتبع لهم عن كراهية وقهر، أو المتبع لهم لأغراض دنيويَّة.

هذا بالنسبة للموضوع.

بل حتى لو كانت من القضايا الحقيقيَّة لم تنفع هذا الكاتب في

شيء من أمر مدعاه، وذلك لثبوت خروج بعض الأفراد عنها قطعاً. وقد قال أهل الاختصاص يكفي لنقض الموجبة الكليَّة ثبوت السالبة الجزئية.

فما يدَّعيه من ثبوت الرضا لكل الصحابة مطلقاً، وما يدّعي لنقض هذه الكليَّة ثبوت أنَّ بعض الصحابة ممَّن سبق في الهجرة أو من الأنصار قد فعل ما يوجب غضب الله عليه، ولو بتوسط غضب نبيِّه كما في روايات كثيرة.

وهذا ثابت بالنصوص الكثيرة حول بعض الأشخاص، كما مرَّ منَّا ذكر بعض الروايات المثبتة لذلك عنهم، فلا تبقى للقضية الكليَّة التي يريدها دعامة إلا وانهدَّت.

ثانياً: وأمَّا بالنسبة لمحمول القضيَّة فالرضا الذي منهم عن الله لا ينفع المستدل في شيء ممَّا يروم إثباته[1].

وأمَّا الرضا الذي من ٱللَّه عنهم فعمومه لجميعهم هو محل الكلام، فإنَّه من الأمور التي تتَّسع وتضيق على حسب متعلَّق الرضا، فإن كان وسيعاً عاماً كان الرضا كذلك، وإن كان ضيقاً فهو كذلك أيضاً.

---

(١) وذلك لوضوح اختلاف متعلق الرضا بين رضا الله عزَّ وجلَّ ورضا الناس، بل حتى لو عرف متعلق رضا الله لم يُجدِ، إذ أنَّ رضاهم عن الله وعن نبيه ﷺ من الواجب عليهم تحصيله ووظيفة مطلوبة منهم، بينما رضا الله عنهم كان محض تفضل وامتنان منه تعالى عليهم.

وهنا نجد أنَّ الرضا قد صدر عن خصوص مَنْ سبقت له الهجرة، بل ليس كلّ من سبقت له الهجرة، وإنَّما خصوص الأوائل منهم، وثابت لمن سَبَقَتْ منه النصرة للنبي ﷺ، لا لكل صحابي من الأنصار.

بل يمكن لنا القول بأنَّ الهجرة الممدوحة والمرغوب فيها من قبل الله عزَّ وجلَّ هي خصوص الهجرة إلى ٱللَّه وفي ٱللَّه، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلذِّينَ هَاجَرُوا فِي ٱللَّهِ..﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِه ثُمَّ يُدْرِكهُ المُوتُ..﴾[2].

وهكذا أكثر الآيات الذاكرة للهجرة أو النصرة. كما في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى بن مَرْيَم لِلحَوَارِيينَ مَن أَنْصَارِي إِلَى ٱللَّه﴾[3].

ثالثاً: يمكن النقض على هذا المدَّعى ببعض الآيات الأخر التي لا يمكن له الالتزام بها. ففي مثل قوله تعالى: ﴿الذِّينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّه وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِم صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِم وَرَحْمَةٌ...﴾، فهذه تثبت المدح بالصلاة من الله على كل من أصابته مصيبة فقال هذا القول، ولو كان القائل غير مؤمن.

---

(١) النحل: ٤١.

(٢) النساء: ١٠٠.

(٣) الصف: ١٤.

فما يتشدق به هذا الكاتب من مدح مدَّعى للصحابة، وقد استفاده من الآية، ليس ممَّا يوجب اختصاصاً لهم بالمدح دون غيرهم من الناس.

وكذا في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُم لَهُم جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدَاً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوزُ العَظِيمِ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ المُسلِمِينَ وَالمُسلِمَاتِ وَالمُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَاتِ وَالقَانِتِينَ وَالقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالخَّاشِعِينَ وَالخَّاشِعَاتِ وَالمُتَصَدِّقِينَ وَالمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالحَافِظِينَ فُرُوجَهُم وَالحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أعدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً *﴾[2].

فهل يلتزم الكاتب بثبوت الرضا لكل من كان صادقاً ولو لم يكن جامعاً للصفات الأخرى الموجبة لدخول الجنَّة والخلود فيها؟

وهل يقبل الكاتب أن يكون كل من تحصَّل على واحدة من هذه الصفات، المذكورة في الآية الثانية يكون مستحقاً للمغفرة والأجر العظيم، ولو لم يكن جامعاً للصفات المعتبرة في المستحق

---

(١) المائدة: ١١٩.

(٢) الأحزاب: ٣٥.

للمغفرة ممَّا لم يذكر في الآية، كصفة الثبات في القتال وعدم الفرار من الزحف، وصفة الإطاعة للّه وللرسول والوفاء بالعهد والأمانة والانصياع لأوامره ونواهيه، وصفة المصلي المؤدي للحج و..و..و، فهل يلتزم الكاتب بهذا هنا؟

وكل ما يجيب به على هذا نجيب به على مدَّعاه في الآية.

رابعاً: قد اختلف في المراد بالسابقين من المهاجرين، مَنْ هم؟

فقيل: إنَّهم من صَلَّوْا القبلتين.

وقيل: الذين شهدوا معركة بدر.

وعن الشعبي: من بايع بيعة الرضوان ما بين الهجرتين، ومن الأنصار أهل بيعة العقبة الأولى، وكانوا سبعة نفر، وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين [1].

وعلى كلّ حال: فسواء جعلنا المهاجرين والأنصار مِصْدَاقَيْ «السابقون» بكسر كلمة ﴿الأَنْصَارِ﴾ أو جعلنا الأنصار معطوفاً على ﴿السَّابِقُون﴾ فيرتفع، فيكون قسماً آخر في مقابل ﴿السَّابِقُون﴾ فهذا لا يغيّر في النتيجة شيئاً، وذلك لأمرين:

١ ـ أنَّ موضوع ﴿السَّابِقُون﴾ مجمل غير مبيَّن، حيث قد تقدم اختلاف المفسرين في المراد بهم من هم؟ أو هو مبيَّن ولكنَّه خاص بطائفة منهم، لا أنَّه لكل الصحابة.

---

(١) تفسير الكشاف: ٢ / ٣٠٤.

٢ ـ أنَّ الأنصار لا يمثّلون كلّ الصحابة، فثبوت تعلق الرضا بهؤلاء أو بجميعهم لا يوافق مدَّعى الكاتب من عدالة كل الصحابة ـ مهاجرةً وأنصاراً ـ كما لا يخفى، خاصَّة مع وصف المهاجرين بأنَّهم الأولون، وأوَّل من أسلم هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

فإنَّ العرب تستعمل في كلامها لفظ الجمع وتريد به شخصاً واحداً.

وقد وردت بعض الروايات المفسرة للآية ـ موضع البحث ـ بأفراد معينين، وهذا واضح.

خامساً: يمكن النقض على المستدل بالآية على عموم الرضا لكل الصحابة، وهو هذا الكاتب وأمثاله:

بأنَّ هذه الآية مع تحديد السابقين في الهجرة بما بين البيعتين، أو ما كان قبل معركة بدر؛ بعدم شمولها للمهاجرين في السنة السابعة وما بعدها، إذ أنَّ بيعة الرضوان كانت في السنة السادسة من الهجرة، وكذا مِن الأنصار مَنْ تأخرت نصرته للنبي صلى الله عليه وآله عمَّن كانوا أوَّل قدوم النبي المدينة، فإنَّهم ليسوا من السابقين في النصرة، فلا تكون شاملة لكل الصحابة[1].

---

(١) وقد سبق أن قلنا بأنَّ نقض الموجبة الكليّة يكفي فيه ورود السالبة الجزئيّة.

سادساً: ليس من الممكن أن تدل الآية على عدالة كل الصحابة ؛ وذلك لكون الآية في سورة التوبة. وهي مدنيَّة بعد ظهور الإسلام وعلوّ شأنه. ولذا اشتملت هذه السورة على فضح الكثير من أعمال المنافقين حتى كان البعض منهم كلّما رأى حذيفة يسأله: هل نزل فيَّ شيء خوفاً من فضحهم[1]. ولذا فمن أسماءها الفاضحة.

فياترى: هل يمكن الالتزام ببقاء الرضا عنهم من قِبَل الله حتى بعد ذلك، ولو فعلوا ما فعلوا من مخالفات شرعيَّة في حياة النبي ﷺ أو بعد وفاته ﷺ؟

هذا ما لا يمكن الالتزام به من أي عاقل فضلاً عن عالم، وقد سبق منّا ذكر بعض الأمور التي جرت بين الصحابة أنفسهم، أو بينهم وبين النبي.

ومن أهم ما جرى بينهم وبين النبي فيما بعد هذه الآيات حادثة الدواة والكتف، وحادثة تنفيذ جيش أسامة. بل أعظمها على

(١) بل حتى المبلِّغ لها أولاً ـ وكان أبو بكر ـ لمّا أن أرسل النبي ﷺ أمير المؤمنين ؑ ليأخذها منه. ويبلغها أهل مكة سأله أبو بكر: أأمير أو مأمور؟ قال: بل مأمور من النبي ﷺ. فرجع أبو بكر إلى النبي ﷺ وهو يبكي ويقول: أنزل فيَّ شيء يارسول الله؟ قال: لا يُبَلِّغ عن الله إلا أنا أو رجل مني.

أقول: فهل بعد بيان هذه المنزلة والتفضيل لعلي ؑ بيانٌ؟

فما لكم كيف تحكمون؟؟

القلب، وهو محاولة اغتيال النبي في قضيَّة دحرجة الدّباب.

فأمَّا الحادثة الثانية: فقد رواها لنا البخاري فقال: بعث رسول الله بعثاً وأمَّر عليهم أسامة بن زيد **فطعن بعض الناس في إمرته! فقام رسول الله ﷺ فقال: إن كنتم تطعنون في إمرته فقد طعنتم في إمرة أبيه من قبل**، وأيْمُ الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليَّ، وإنَّ هذا لمن أحب الناس إليَّ بعده[1].

وأمَّا الحادثة الأولى: فقد حدَّث البخاري بها كذلك، فلنستمع له يحدثنا بها كما رويت له: لمَّا اشتدَّ بالنبي ﷺ وجعه قال: ائتوني بكتاب أكتبُ لكم كتاباً لا تضلوا بعده. قال عمر: **إنَّ النبي ﷺ غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط! قال: قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع**، فخرج ابن عباس يقول: الرزيَّة.. كل الرزيَّة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه[2].

وحدَّث بها مسلم في صحيحه هكذا: اشتدَّ به ﷺ وجعه فقال: ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا.

---

(١) صحيح البخاري: ٦ / ٢٤٤٤ برقم ٦٢٥٢، صحيح مسلم: ٤ / ١٨٨٤، الطبقات: ٢ / ١٨٩.

(٢) صحيح البخاري: ١ / ٥٤ برقم ١١٤.

فقال بعضهم: إنَّ رسول الله يهجر[١] استعيدوه...[٢].

وفي رواية ثالثة: قال عمر: إنَّ النبي ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن وحسبنا كتاب اللّه، مَنْ لفلانة وفلانة؟ ـ يعني مدائن الروم، إنَّ النبي ﷺ ليس بميّت حتى يفتحها، ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو إسرائيل موسى» [٣].

فلغطوا واختصموا، فنهم من يقول ما قال عمر[٤]، ومنهم من يقول: قرِّبُوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلُّوا بعده أبداً.

فلما أكثروا اللغط وغمُّوا رسولَ الله قال: قوموا عني[٥].

فهذه نماذج ممَّا جرى مع النبي ﷺ من الصحابة، بل من كبراءهم، بل من السابقين ـ عندكم ـ الأوَّلين من المهاجرين، كل هذا في أواخر أيَّام حياته، فكيف بما بعد وفاته من أمور وحوادث نصفح عنها تنزهاً، وحفاظاً على القارىء المحترم عن الملالة، وإعادة ذكر ما هو من المسلَّمات في التاريخ والحديث، ممَّا جرى

---

(١) يهجر من الهجر أي الهذيان، وذلك بسبب شدة المرض، فيقول ما لا يدرك.

(٢) صحيح مسلم: ٣ / ١٢٥٩، ويظهر منها أنَّ مسلم أكثر تحاشياً عن ذكر ذاك القائل من البخاري حيث حرَّف الرواية هنا فقال: قال بعضهم...

(٣) إمتاع الأسماع للمقريزي: ٥٤٦.

(٤) صحيح البخاري: كتاب العلم: ١ / ٥٤.

(٥) صحيح مسلم: ٣ / ١٢٥٩.

منهم على ابنة نبيِّهم الزهراء البتول، وزوج ابن عمّ الرسول ﷺ[1].

والخلاصة أنّنا لا ننكر فضلاً للصحابة أثبته الله لهم، ولكن ليس لكل من يدّعي أنّه من الصحابة مثل ذلك الفضل، بل للبعض منهم فقط، بل إنَّ بعضهم ممَّن أساء للنبي ﷺ، فهل نعدُّ إساءته فضلاً؟

وأخيراً..: لا يفتأ هذا الكاتب يفهم الأشياء فهماً معكوساً على أثر عدم معرفته بمصطلحات العلوم كالمنطق وأصول الفقه، وحتى مداليل اللغة: فهو يقول: «انظر إلى العموم في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ﴾، ولا نعلم أي عموم فيه!

ويقول: ﴿مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴾ نعم الذين هاجروا مع النبي والذين نصروه هم السابقون...» ؟!!.

عجباً؛ كيف يعكس المعنى؟ فالآية تُخصص الرضا بمن سبقت منه الهجرة، وبمن سبقت منه النصرة، وهذا يقول كل مَنْ تحققت منه الهجرة، وكل من تحققت منه النصرة فهو مشمول بالحكم

(١) ولقد كتب العلماء كثيراً في هذه الواقعة بما يثبت صدورها عنهم بعد موت النبي مباشرةً؛ فارجع لكتاب تشييد المطاعن للسيد ناصر حسين. وكتاب الهجوم على بيت فاطمة، وكتاب المحسن بن فاطمة، وكتاب أين الإنصاف؟ وكتاب محنة فاطمة، وغيرها من الكتب والمؤلّفات.

بالرضا.

فانظرْ للفرق بين المعنيين !! وأنعم ـ أيُّها القارىء ـ على هذا الكاتب فهمه للعبارة العربيَّة.

الموقف الخامس: ما يتعلّق بغزوة تبوك: شواهد من مشاهد

إنَّ من مميزات سورة التوبة أنَّها من آخر ما نزل على النبي من السور؛ فقد كانت في السنة التاسعة من الهجرة، وكان أكثرها لفضح المنافقين ومرضى القلوب، وكانت غزوة تبوك بخروج النبي ﷺ من المدينة لمحاربة الروم، وللثأر لجعفر بن أبي طالب ومن مات معه من المؤمنين في معركة مؤتة، وكان عدد مَن معه ثلاثين ألف رجل، منهم عشرة آلاف فارس، ولكن انفصل ـ في موضع خارج المدينة ـ عبدالله بن أبي بمجموعة من الجيش يقدر بالثلث، وصاروا يُثبِّطون الخارجين مع النبي ﷺ عن الخروج معه.

ثمَّ إنَّ الآيات التي وردت في حق هذه الغزوة يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام:

الأول: ما يشير لتثاقل الناس عن الخروج للجهاد بعد ثرائهم واشتغالهم بأموالهم وأعمالهم. قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَالَكُم إِذَا قِيلَ لَكُم انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُم إِلَى الأَرْضَ

أَرَضِيتُم بِالحَيَاةِ الدُّنيَا مِن الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنـيَا فِـي الآخِرَةِ إلاَّ قَلِيلٌ * إلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُم عَذَابَاً أَلِـيمَاً وَيَسْـتَبْدِلْ قَوْمَاً غَيْرَكُم وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَـدِيرٌ *﴾ التوبة: ٣٨ ـ ٣٩.

وقــال تـعالى: ﴿لَـوْ كَـانَ عَـرَضَاً قَـرِيبَاً وَسَـفَرَاً قَـاصِدَاً لاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَـعُدَت عَـلَيْهِم الشُّـقَّةُ وَسَـيَحْلِفُونَ بِـاللَّهِ لَـو اَستَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُم يُـهلِكُونَ أَنْـفُسَهُم وَاللَّـهُ يَـعْلَمُ إِنَّـهُم لَكَاذِبُون﴾ التوبة: ٤٢.

ففي هذه الآيات عتاب شديد من الله عزَّ وجلَّ للصحابة على عدم نفرهم لمَّا استنفرهم الرسول ﷺ، وتعييرٌ مـع تـبيين لواقـع حالهم بأنَّهم قد رضوا بالحياة الدنيا وبلذَّاتها، وفضَّلوا ذلك على نعيم الآخرة وجنَّاتها.

ثمَّ تهديد ووعيد شديد اللـهجة مـنه تـعالى لهـم بأنَّـه إن لم تنفروا ينزل عليكم العذاب الأليم، ولا تكونوا مستحقين لصحبة مــثل هـذا النـبي العـظيم فـيستبدل قـوماً غـيركم. وليس في ذلك أدنى ضرر عليه.

فياترى: هل أنَّ هذا العتاب والتهديد منه تعالى كان للصحابة أم كان للكفار أو للمنافقين ؟؟

ولمزيد تأكيد واقع حالهم يبين حقيقة نـوايـاهم بأنَّ همَّـتهم قد ضعفت وصارت إلى درجة أنَّهم يستحبون السـفر القـريب و

المغنم الواضح المقصود، وأمَّا مع بُعدُ الشُّقَّة عليهم فيتطلبون المعذرة منك لعدم استطاعتهم ذلك، بل يُقسِمُونَ على هذا، مع علم الله بكذبهم.

الثاني: ما يتعلَّق بالمقابلة بين ما يجب على المسلمين والمؤمنين عمله لأجل التهيؤ للجهاد، وما صَدَرَ منهم في الخارج: قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُم وَأَنفُسِكُم فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُم خَيْرٌ لَكُم إِنْ كُنتُم تَعْلَمُونَ﴾التوبة: ٤١.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُنزِلَت سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ ٱستَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُم وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ القَاعِدِينَ * رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِم فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ *﴾التوبة: ٨٦ـ ٨٧.

فهذه الآيات تبين ما كان مفترضاً أن يقوم به المسلمون من النفر للجهاد وبذل الغالي والنفيس من المال والنفس والولد.

ولكنَّ الأمر المؤسف ما عبَّرت عنه الآية الثانية من تثاقلهم واعتذارهم بطريقة شبه مؤدبة ؛ وهي الاستئذان منك في عدم الخروج، فنزل القرآن مُبَكِّتاً لهم، وذامًّا لفعلهم، بعدم الفقه لأمر هذا الدين، وأهميَّة الجهاد في سبيله.

فيا ترى ـ أيها الكاتب المحترم ـ هل أنَّ هؤلاء من الصحابة أم من غيرهم ؟ ألا بربِّك قل لي.

الثالث: ما يتعلق بأمر المنافقين وهو آيات كثيرة نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم الذِّينَ يُؤْذُونَ النَّبِي وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُم يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤمِنُ لِلمُؤمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلذِّينَ آمَنُوا مِنكُم وَالذِّينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّـهِ لَـهُم عَـذَابٌ أَلِـيم﴾ التوبة: ٦١

﴿يَحْذَرُ المُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزُلَ عَلَيْهِم سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِـمَا فِـي قُلُوبِهِم قُل اسْتَهْزِؤا إِنَّ اَللَّهَ مُـخْرِجٌ مَـا تَـحْذَرُونَ * وَلَـئِن سَأَلْتَهُم لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَـلْعَبُ قُـلْ أَبِـاللَّهِ وَآيَـاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُم تَسْتَهزِؤن * لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُم إنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنكُم نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُم كَـانُوا مُـجرِمِينَ *﴾التوبة: ٦٤ ـ ٦٦.

وقوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَاقَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إسْلاَمِهِم وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَـا نَـقِمُوا إلاَّ أَنْ أَغْنَاهُم اَللَّهُ وَرَسُولُه مِن فَضْلِهِ فَإنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُم وَإنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُم اَللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ *﴾ التوبة: ٧٤.

ففي هذه الآيات صفات للمنافقين ممَّن صحَّت منه الصحبة للنبي، ولو لفترةٍ ما، وآمن به وروى عنه، ثمَّ صدر منهم النفاق، ولكنَّ كل ذلك لم يمنع اَللَّه عزَّ وجلَّ من أن يُنزِل فيهم قرآناً يُتلَى،

فضحاً لهم وتعريضاً بمواقفهم الخاذلة للنبي[1].

هذا مع سبق بيعتهم للنبي وعهدهم له بعدم الخذلان وبالنصرة له في كل المواقع. فنقضوا العهد وخالفوا ما بايعوا النبي عليه.

وأمّا الآية الثانية: فقد قيل بأنّها نزلت في الجُلاَس بن سويد بن الصامت بن خالد الأوسي، وقيل في عبد الله بن أبي، وقيل في أهل العقبة[2].

فإنّه ﷺ لمّا كان في غزوة تبوك قال الجُلاَس بن سويد: والله لئن كان ما يقول محمدٌ حقاً لإخواننا الذين خلّفناهم، وهم ساداتنا وأشرافنا فنحن شرٌّ من الحمير.

فنقل ذلك الكلام إلى رسول الله ربيبُهُ عامر أو عمير بن قيس الأنصاري فاستدعاه الرسول ﷺ فأنكر. فرفع عامر يديه نحو

---

(١) أقول: إذا كان القرآن نفسه يقوم بفضح بعض المنافقين ومرضى القلوب، ويعرف النبي بهم والنبي يعرف الناس بهم، ولو بالوصف دون الإسم. فلا بدَّ وأن يكون ذلك لغرض سَامٍ، وغاية قصوى يريدها القرآن من ذلك، ونحن نقتفي بالقرآن في هذا الأمر ونتبع سنَّة الرسول.

وكل ما يُشكِل به هذا الكاتب علينا فهو إشكال على كتاب اللّه وسنَّة رسوله، إلا أن ينكر وجود مثل هذه الآيات في القرآن، أو ينكر وجود كل سورة التوبة ـ الفاضحة ـ في القرآن، أو وجود الروايات في الصحاح والسنن. وحينئذٍ فلا كلام لنا معه !!

(٢) مجمع البيان: ٦ / ٩٠.

السماء وقال: اللهم أنزل آية في تكذيب الكاذب وتصديق الصادق منّا، فنزلت هذه الآية، فتاب عندئذٍ الجُلاس وحسنت توبته وإسلامه.

وأمّا القول بنزولها في أهل العقبة، ففيها إشارة لما اتفقوا عليه من الهمّ بقتل النبي ودحرجة الدباب عليه أو قطع زمام ناقته حتى تسقط به في الوادي، وذلك عند مرجعه من تبوك [1]:

تواثق خمسة عشر رجلاً أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسنّم العقبة بالليل، فأخذ عمّار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة يسوقها[2]، فبينما هم كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقعة السلاح، فالتفت فإذا قوم متلثمون، فقال: إليكم

---

(١) تفسير الكشاف: ٢ / ٢٩١، وفي هامشه كتب ابن حجر العسقلاني: أخرجه أحمد من حديث أبي الطفيل قال: «لما قفل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك..وساق الحديث» وذكر في ذيل الحديث: لمّا كان بعد ذلك وقع بين عمّار ورجل منهم شيء ممّا يكون بين الناس، فقال: أنشدكم الله كم أصحاب العقبة الذين أرادوا أن يمكروا برسول الله ؟

فقال: ترى أنّهم أربعة عشر، فإن كنتَ فيهم فهم خمسة عشر.

ومن هذا الوجه رواه الطبراني والبزار وقال: روي من طرقٍ عن حذيفة، وهذا أحسنها وأصلحها إسناداً. ورواه ابن إسحاق في المغازي، ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن الأعمش عن عمرو بن مرّة عن أبي البختري عن حذيفة بن اليمان ـ وساق الحديث إلا أنّه قال: اثني عشر رجلاً فانتهت إلى رسول الله فصرخ في وجههم فولوا مدبرين.

٢) وفي بعض الروايات الأخر بالعكس.

إليكم يا أعداء الله فهربوا[1].

وفي رواية: أنَّ أسيد بن حضير سأل الرسول ﷺ عن سبب تخلفه عن القوم ومشيه في الليل عبر العقبة، فقال: أتدري ما أراد المنافقون البارحة؟

قال: وماذا أرادوا؟

قال: أرادوا أن يقطعوا أنساع راحلتي وينخسوها حتى يطرحوني من راحلتي.

فقال له: عيِّنهم فيقتلهم أهل عشيرتهم، وإن شئت عيِّنهم لي فلا تبرح حتى آتيك برؤوسهم.

فقال رسول الله: **إني أكره أن يقول الناس إنَّ محمداً لمَّا انقضت الحرب بينه وبين المشركين وضع يده في قتل أصحابه**[2].

وليس غائباً عنك ما رواه مسلم بسنده عن حذيفة عن النبي ﷺ أنَّه قال: «في أصحابي إثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنَّة حتَّى يلج الجمل في سَمّ الخياط»[3].

(١) راجع لمعرفة تفاصيل هذا: سنن البيهقي: ٩ / ٣٣، وقيل بأنّه أحسنها وأصلحها سنداً، البداية والنهاية: ٣ / ٣٢٧، زاد المعاد: ٣ / ٥٤٥، أنساب الأشراف: ص ٢٣٦، مغازي الواقدي: ٣ / ١٠٤٢، تفسير ابن كثير: ٢ / ٦٠٤.

(٢) إمتاع الأسماع: ٤٧٨ ـ ٤٧٩.

(٣) صحيح مسلم: ٤ / ٢١٤٣ كتاب صفات المنافقين، سنن البيهقي: ٨ / ١٩٨، مسند أحمد: ٥ / ٣٩٠ وغيرها من المصادر.

ولا يفوتنَّك قول النبي ﷺ «في أصحابي»، وكذا قوله «قتل أصحابه» في الرواية السابقة.

الرابع: ما يتعلّق بمدح أمير المؤمنين والمؤمنين معه، وكذا ما يتعلّق باستقبال الوفود: قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ التوبة: ٨٨. ممّا لا شك ولا ريب فيه لدى كل متتبع لمواطن نزول الآيات القرآنية، وهو ممّا لابدَّ وأن يحصل به القطع: أنّه لا توجد آية مدح في القرآن إلا وعليٌّ على رأس الممدوحين فيها.

وقيل بأنَّ موارد مدحه ﷺ بلغت ثلاثمائة آية[1]، بل نُسِب إلى أحمد بن حنبل أنّه قال: لم يصلنا من روايات الفضائل في أحد من الصحابة ما وصلنا في علي بن أبي طالب ﷺ [2].

إن قلت: من المعروف تاريخياً أنَّ أمير المؤمنين لم يكن مع النبي في هذه الغزوة، بل بقي في المدينة. فكيف يكون مشمولاً بها؟

قلتُ: إنَّ المدح في الآية لمن كان مع النبي، وليس المقصود خصوص المعيّة البدنيّة، وإلا فقد كان معه الكثير من المنافقين، ولا يمكن أن تكون الآية شاملة لهم بالمدح، بل يمكن لنا دعوى

---

(١) تفسير الحبري: للحسين بن الحكم الوشاء (ت ٢٨١هـ) ط بيروت ١٤٠٨هـ. ص ١٦٢ ـ ١٦٣ وانظر الحديث الثالث ص ٢٣٤ وتخريجاته (ص ٣٨٣).

(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري: باب أوّل فضائل أمير المؤمنين ﷺ.

عدم إرادة المعيَّة البدنيَّة أصلاً، وأنَّ المراد مَن كان معه على الحقِّ وعلى الدعوة للَّه عزَّ وجلَّ، ولهذا الدين.

ولا شكَّ أنَّ أمير المؤمنين هو أوَّل من كان معه على هذه الدعوة، فهل تتعقل أن تخرجه عن دلالتها وتدخل الأباعد والمتأخرين في هذه الدعوة؟ وإنَّما أبقاه النبي ﷺ في المدينة محافظاً عليها عن انقلاب المنافقين وإفسادهم، حيث تخلف فيها الكثير منهم والمتربِّصُون بهذا الدين الدوائر. وأي جهاد أعظم من هذا؟ مع عدم حبّه ﷺ للتخلّف، لفرط رغبته في مصاحبة الرسول ﷺ في كل غزواته، بل كان متعطِّشاً للذهاب معه، ولكنَّ طاعته الكبيرة للرسول جعلته يمتثل أمر النبي بالبقاء، بل كان اختياره البقاء أحد فردي التخيير بينه وبين خروجه وبقاء النبي في المدينة ـ كما دلَّت عليه الروايات ـ، ولذا لم يرد عندنا ولا عند العامَّة أن خرج علي ﷺ في جيش أو غزوة أو سريَّة مأموراً، بل كان فيها كلِّها هو الأمير، ولذا كان من ألقابه أمير المؤمنين سلام الله عليه.

وهاك بعض الشواهد على مدائح علي:

أحدها: لمَّا عزم الرسول ﷺ على الخروج لغزوة تبوك قال لأمير المؤمنين: إمَّا أن تخرج وأبقى في المدينة، وإمَّا أن تبقى وأخرج، فإنَّ المدينة لا تصلح إلا بي أو بك[1].

---

(١) ميزان الاعتدال: ١ / ٥٦١، مناقب ابن المغازلي: ص ٣٢.

فقبل عليٌّ بأن يبقى في المدينة. ولكن لمّا شارف الرسول على الخروج بالجيش تكلّم المنافقون في عليٍّ وقالوا: «لو كانت له في ابن عمه حاجةٌ لأخرجه معه»! فتأثر أمير المؤمنين لذلك[1] وأخبر النبي بما قالوا. فقال له: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيَّ بعدي»[2].

ثانيها: لمّا قدم وفد ثقيف على رسول الله في شهر رمضان، سألوه أن يدع اللات لهم مدّة ثلاث سنين لا يهدمها. فأبى عليهم ذلك، وقال لهم النبي: لتسلمنَّ أو لأبعثنَّ إليكم رجلاً مني أو كنفسي، فليضربنَّ أعناقكم، وليأخذنَّ أموالكم، وليسبينَّ ذراريكم.

فقال عمر: فجعلتُ أنصب صدري وأقوم على أطراف أصابعي؛ رجاء أن يقول: هو هذا، فالتفتَ إلى عليٍّ فأخذ بيده وقال: هو هذا، هو هذا[3].

ثالثها: حادثة تبليغ سورة براءة، وقد مرَّ منّا ذكرها، وفيها أنَّ

---

(١) لعلّ هذا من كلام الراوي.

(٢) صحيح البخاري: ٥ / ٢٤، صحيح مسلم: ١٥ / ١٧٣، المستدرك على الصحيحين: ٢ / ٣٣٧، مسند أحمد: ١ / ١٧٧ ـ ١٧٩ ـ ١٨٢ ـ ١٨٤، ٣ / ٣٢ وما بعدها، الخصائص للنسائي: ص ٨٢، وغيرها من المصادر الكثيرة جداً، بل قيل بتواتره، وهو قوي، لكثرة رواته وتعدد طرقه وطبقاته بما يؤمن منهم التواطؤ على الكذب.

(٣) مجمع الزوائد: ٦ / ١٦٣، مناقب ابن المغازلي: ص ٤٢٨.

الرسول ﷺ قال لأبي بكر:...أُمِرتُ أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي [1] أو مني [2].

رابعها: وفد نصارى نجران. وقصَّة المباهلة المعروفة المشهورة ؛ بل المدعى تواترها: حيث إنَّهم بعد أن وفدوا على النبي ﷺ تدارسوا أمر المسيح، فردَّدعواهم وكلَّف الرسول ﷺ بمباهلتهم إن أصرُّوا على ذلك، وطلبوا المباهلة، وفي يوم المباهلة جاء الرسول، وفي إحدى يديه الحسن، وفي الأخرى الحسين، وتتبعه فاطمة، وأمير المؤمنين: بين يديه أو خلفهما. فلمَّا رأوا ذلك خافوا وقالوا: لا نباهلك، ولكن ندفع الجزية، فكتب عليّ ذلك الصلح بينهما.

فياترى: لمَ لم يباهل الرسول العظيم بأصحابه ؛ وهم هم ـ كما تراهم ـ ألا يوجبون استجابة دعاءه ؟

ألم يكن الرسول واثقاً في أصحابه تمام الثقة ؟

ولمَ لم يعترض الصحابة عليه ـ كما اعترض بعضهم في موارد

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢ / ٥٤٣، الخصائص للنسائي: ٩١، تفسير الكشاف: ٢ / ٢٤٣، مسند أحمد: ٢ / ١، ٤، / ١٦٤، ١١ / ١٥١، المستدرك للحاكم: ٣ / ٥١، كنز العمال: ١ / ٢٤٦، ٦ / ١٥٣، تاريخ أبي زرعة: ص ٢٩٨، والكثير من المصادر غيرها.

(٢) راجع كلمات المفسرين حول سبب نزول الآية فستجد المزيد من هذه العبارات من تفسير سورة براءة، وكذا راجع تفسير الحبري.

أخرى ـ على أخذ الحسنين والزهراء وأمير المؤمنين عليهم السلام ؟

ألم تفكر في كل هذا أيُّها الكاتب القدير ؟

ولِمَ لم تشر في كتابك إلى مثل هذه الوفود، وما جرى بينها وبين النبي صلى الله عليه وآله ؟

ألم يكن خوفاً من أن تُلزَم بالتعرض لمثل هذه المقامات الثابتة لأمير المؤمنين عليه السلام ؟

خامسها: بَعْثُ النبي صلى الله عليه وآله إلى اليمن: فقد بعث بعثين.

أحدهما ـ وهو أولهما ـ بعث خالد بن الوليد وبقي فيهم ستة أشهر ولم يسلموا.

ثمَّ بعث أمير المؤمنين عليه السلام إليهم فلمّا وصلهم وقرأ عليهم كتاب الرسول صلى الله عليه وآله أسلمت همدان جميعاً في يوم واحد، فأرسل للنبي بذلك، فسجد صلى الله عليه وآله شكراً للّه، وكان أن اصطفى له جارية منهم، فأرسل خالد مع بريدة رسالة للنبي صلى الله عليه وآله يخبره بذلك، فغضب النبي صلى الله عليه وآله لذلك وقال: «لا تقع في علي فإنَّه مني وأنا منه وهو وليُّكم بعدي»[1].

أليس في هذا كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد ؟

وبعد كل هذه المواقف والمقاطع السريعة مع هذا الكاتب نراه

---

(١) السيرة النبويّة لابن كثير: ٤ / ٢٠٢ نقلاً عن السنن الكبرى للبيهقي: ٢ / ٣٦٩، الكامل لابن الأثير: ٢ / ٣٠٠، تاريخ الطبري: ٣ / ١٣٢.

يعود ويكتب آيات كريمة أخرى من القرآن:

فمنها: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِن أَثَرِ السُّجُود ذَٰلِكَ مَثَلُهُم فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُم فِي الإِنْجِيل﴾(١).

ومنها: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّموا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ * يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُم فَوْقَ صَوْتِ النَّبِي﴾(٢).

ومنها: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤمِنُون حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾(٣).

فهذه الآيات تعطي خلاف ما يرومه هذا الكاتب، فمدّعاه هو عدالة كل الصحابة، وشدة إخلاصهم وإيمانهم بالنبي ﷺ.

ولكنّ الآية الأولى هنا ـ مثلاً ـ غاية ما تفيده هو تحقق هذا الوصف لجماعة خاصة، وهم خصوص الذين معه، وقد سبق منّا القول بأنّه لا يمكن الالتزام بأنّهم جميع مَن يكونون معه بأبدانهم، وإلا فالكثير ممّن كان معه بأبدانهم كانوا ممّن نزلت فيهم آيات المنافقين.

---

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) الحجرات: ١ ـ ٢.

(٣) النساء: ٦٥.

بل المراد بالآية الذين معه على هذا الأمر الجامع، وهو الدين الخالص الذي يدعو له مرسَلاً به عن ربِّه، علاوة على أنَّا لا نمنع ثبوت مثل هذه الصفات لبعض الصحابة بل لكثير منهم، ولكنَّ هذا الكثير يقابله من لم يكونوا كذلك.

وأمَّا في الآية الثانية فهي تنهى عن التقدم - في الأمر و النهي - على النبي ﷺ، أو التقدم في الأفعال أو الإقصار عنه ﷺ، ونقول: ينبغي لكم أيها الصحابة أن تسيروا على طبق أوامره ونواهيه: ﴿ومَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[1] دون تقدم عليها أو تثاقل ولا تأخر عن أدائها.

ولكنْ - أخي القارىء - إليك مثالاً من واقع حياة الصحابة مع النبي ﷺ تبين لك كيفية امتثالهم لمفاد الآية:

وهو ما قدَّمنا ذكره من حديث صلح الحديبيَّة، لمَّا جرى الصلح وأراد النبي الإحلال من إحرامه حيث صُدَّ عن دخول البيت فأمر أصحابه بالحلق والذبح امتنعوا. وجرى بينهم ما جرى حتى دخل على أم سلمة وشكى لها قومه. فأشارت عليه بالخروج والحلق والذبح دون اعتبار بهم ففعل فقاموا وفعلوا كذلك، وقد مرَّ تخريج مصدرها[2].

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) علاوة على المصادر السابقة: راجع تاريخ الطبري ٢ / ١٢٢ حوادث سنة ٦هـ، البداية والنهاية: ٤ / ١٣٦ حوادث سنة ٦هـ.

وكذا ما ورد عن عائشة لمَّا أمر النـاس بـالإحلال بـالعمرة تعاظم ذلك عندهم[1] وفشت في ذلك القالة[2]. فقالوا: ننطلق إلى منى وذَكَرُ أحَدِنَا يَقْطُرُ مَنِيًّا[3]. فبلغ ذلك النبي ﷺ فـقام خـطيباً فقال: بلغني أنَّ أقواماً يقولون كذا وكذا. واللَّه لأنا أبرُّ وأتقى للَّه منهم. قالت عائشة: دخل النبي عليَّ وهو غضبان. فـقلتُ: مـن أغضبك يا رسول الله ؛ أدخله الله النار.

قال: أو ما شَعَرْتِ أني أمرتُ الناس بأمر فإذا هم يترددون[4].

وأمَّا في الآية الثالثة فاستمع لما ذكره المفسرون:

قال بعضهم: لمَّا نزلت هذه الآية قال أبو بكر: يـارسول الله ؛ واللَّه لا أكلمك إلا السِّرار أو أخا السِّرار حتى ألقى اللَّـه. وعـن عمر أنَّه كـان يكـلم النـبي ﷺ كأخـي السِّرار لا يسـمعه حـتى يستفهمه[5].

---

(١) هذا اللفظ لمسلم: ٢ / ٩٠٩.

(٢) هذا اللفظ للبخاري: كتاب الاشتراك في الهدي: ٢ / ٨٨٥.

(٣) صحيح البخاري: كتاب التمني: ٦ / ٢٦٤١. وقد ذكر في مقدمة مرآة العقول أنَّ القائل بهذه الكلمة «ننطلق إلى منى وذكر...» هو عمر بن الخطاب وقـد أجابه النبي ﷺ بقوله: «إنَّك لن تؤمن بها حتى تموت..» والشاهد على هذا أنَّه لمَّا صار خليفة نهى المسلمين عن أمور ومنها متعتا الحج والنساء: ١ / ٢٢١.

(٤) صحيح مسلم: ٢ / ٨٧٩.

(٥) تفسير الكشاف: ٤ / ٣٥٢ أما حديث أبي بكر فقد ذكره الواحدي عن عطاء عن ابن عباس. وأما حديث عمر فقد خرجه البخاري من حديث أبي الزبير.

ولكن فلنستمع لأصل القصة لنعرف منها لِمَ قالا ذلك:

فقد أخرج في الدرّ المنثور عن البخاري وابن المنذر والطبراني عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيِّران أن يهلكا أبو بكر وعمر: رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس[1] وأشار الآخر برجل آخر[2].

فقال أبو بكر لعمر: ما أردتَ إلا خلافي!.

قال: ما أردتُ خلافك.

فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل اللّه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُم...﴾ قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسول الله بعد هذه الآية حتى يستفهمه»[3].

وحينما نأتي بمثل هذه الشواهد ليس غرضنا خصوص الشخص المعيَّن، بل بما أنَّه أحد الصحابة، فتنتقض القضية الكليَّة التي يدَّعيها الكاتب من الحكم بعدالة كل الصحابة، وعدم جواز نقدهم.

وإن كان يغلب في الظن أنَّه لا غرض له في كل الصحابة، ولكنَّه الطريق الوحيد لتعديل جماعة السقيفة على أقل

---

(١) وفي رواية أنَّ المشير به هو عمر بن الخطاب.

(٢) وهو أبو بكر فقد أشار بالقعقاع بن معبد بن زرارة.

(٣) الدر المنثور: ٦ / ٨٤، صحيح البخاري: ٣ / ١٩٠ ـ ١٩١ تفسير الحجرات. وفي طبعة أخرى ٤ / ١٥٨٧ ـ ١٨٣٣، سنن النسائي: ٨ / ٢٢٦.

التقديرات، وصبغهم بهالة قدسيَّة تمنع من التفوُّه عليهم ولو ببنت شفة.

الموقف السادس: وهو ما يتعلّق بغزوة حنين:

ولعل الكاتب لم يذكره لوضوح الفضيحة فيه، إذ نزل فيه قرآن يتلى، فكيف يواري سوأة مَن يمسَّهم مِن الصحابة عن ذلك، فليس من طريقة إلا إغفال الذِكرِ لعلَّ القارىء يغفل أيضاً عن ذلك.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُم ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُم كَثْرَتُكُم فَلَم تُغْنِ عَنْكُم شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُم الأَرْضُ بِمَا رَحُبَت ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَه عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّب الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ المُحْسِنِين﴾ التوبة: ٢٥ ـ ٢٦.

فقد كان جيش الرسول ﷺ لحرب قبيلة هوازن اثنا عشر ألفاً، منهم عشرة آلاف الذين أشتركوا في فتح مكّة، وألفان ممَّن أسلم في مكّة، وقد عجبوا، بل أتكلوا على كثرتهم، فقال بعضهم: «لا نُؤتَى من قِلَّة» فكره ذلك رسول الله منهم، وقد اختبأت هوازن في الوادي، ثمَّ لما خرجوا على المسلمين انهزم المسلمون و وَلَّوْا الدبر، حتى لم يبقَ مع الرسول إلا عشرة وقيل تسعة: علي بن أبي‌طالب والعباس عم النبي ـ وهو المنادي في الفارِّين: ياأهل

بيعة الشجرة..يا أهل سورة البقرة..ـ وأبو سفيان بن الحارث ونوفل بن الحارث وربيعة أخوهم، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب والفضل بن العباس وعبدالله بن الزبير، وقيل أيمن بن أم أيمن[1].

وعن بعض مصادر الشيعة: «إنَّ الناس فروا جميعاً يوم حنين عن النبي ﷺ إلا سبعة: أبو سفيان وربيعة ونوفل أبناء الحارث، والعباس وابنه الفضل وأمير المؤمنين وأخوه عقيل والنبي على بغلته الدلدل...»[2].

فهل الفارُّون والمُوَلُّون الدُّبُرَ الأصحابُ أم الأغيار؟

وهل أنَّ فعلهم مساوٍ لمن ثبت مع النبي؛ ألا بربك قل لي!!؟

وفي هذه الغزوة وبعد أن انتصر على هوازن حاصر الطائف، وأمَّر علياً على كسر الأصنام، وبعد أن أدَّى مهمَّته رجع فكبَّر النبي ﷺ، وناجى علياً طويلاً، يقول جابر: أتاه عمر بن الخطاب فقال: أتناجيه دوننا وتخلو به؟ فقال: يا عمر ما أنا انتجيته بل الله انتجاه»[3].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/٦٢، أنساب الأشراف: ١/٣٦٥، الاستيعاب: ١/ ٨١٣، تفسير الفخر الرازي: ١٦/٢٢، تاريخ الطبري: ٢/١٦٧ حوادث سنة ٨هـ.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي؛ المجلس رقم ٢٢.

(٣) سنن الترمذي باب مناقب علي، أسد الغابة لابن الأثير: ٤ / ٢٧، المعجم الكبير للطبراني: ٢ / ١٨٦، بألفاظ متقاربة وبعضها عن أبي بكر لا عمر، كما أنَّ بعضها عنهما جميعاً.

فقد علم القارىء المحترم...الآن؛ لِمَ انحرف قلم هذا الكاتب عن ذكر بعض الغزوات أو بعض الوفود القادمة على النبي، فليس ذلك إلا محاولة لإطفاء نور اللَّه عزَّ وجلَّ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِم وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُون﴾[1]، وتستراً على فضائل عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام والتي ملأت ـ مع إخفاء أوليائه خوفاً وإخفاء أعداءه حسداً ـ الخافقين.

خـاتـمـة:

والذي نخرج به من هذه الدراسة عدَّة أمور:

الأوّل: إنَّ أهل السنَّة ينقسمون في هذا الزمـان، مـن حـيث اعتبار الروايات إلى قسمين:

قسم لا يعتبر من الروايات النبويَّة ـ عملاً وإن لم يصرحوا به ـ إلا صحيحي البخاري ومسلم، وهؤلاء هم ما يسـمون في هـذا الزمان بالفرقة الوهابيَّة والسلفيَّة، فلا يرون المناقشة في أسانيد رواياتها.

وقسم يعتبرون بالكثير من المصادر الحديثيَّة و التاريخيَّة قوَّة أو فعلاً[2]، علاوة على الصحيحين، لو صحَّ سندها.

---

(١) الصف: ٨.

(٢) المراد بـالقوة: إمكـان تـصحيح الروايـات الواردة فـي الكـتب الحـديثيَّة، والمراد بـ فعلاً أنَّها مصححة عندهم بالفعل.

فأمَّــا القـسم الأول: فـهم يـرون أنَّ مـا كـان مـوجوداً في هذين الصحيحين لا يُحتَاج إلى البحث في سنده، بل هـو مـعتبر مطلقاً.

وأمَّا القسم الثاني: فهم يرون عدم الفـرق بـين الصـحيحين وغيرهما من الكتب، بل كل كتاب وردت فيه روايات مـنسوبة للنبي وصحَّ سندها فهي ممَّا يجب العمل بها، وكـل روايـة ثـبت ضعف سـندها أو لم يـثبت صـحته، فـهي مـطرحـة ولا يـصح العمل بها.

ونحن ـ بما أنَّنا لحظنا كلا القسـمين، وأردنـا أن يكـون الرد لهذا الكاتب شـاملاً لأكـبر قـدر ممكـن مـن القُـرَّاء ـ حـاولنا الجمع بـين المـبنيين، فـنقلنا الروايـات مـن الصـحيحين ومـن الكتب الأخرى، علماً بأنَّ المـبنى الأول واضـح الفسـاد جـداً، ولم تــصر إليـه إلا شرذمـة مـن المـتأخرين المـدَّعين لاتـباع السلف، وأتباع ابن تيميَّة وابن حـزم وابـن القـيم، ومـن سـار على خطِّهم، ونشر أفكارهم ممَّن يدين بالدعوة الوهابيَّة في هذا الزمان.

فالذي نتمناه أن لا يكون هذا الكاتب من أتباعها ودعاتها، فإنَّ من ينتمي إليها، فمذهبهم عدم قبول نظر أي طرف آخر، بل يترقى لتكفير كل من يخالفهم في الرأي فمنطقهم: أنت مـعنا وإلا

فأنت كافر[1].

ولذا؛ فيمكن لنا القول: إنَّه في هذا الزمان ليس من موضع لمن يعيش مثل هذه العقليَّة الضعيفة في وسط المجتمعات المسلمة المتوائمة المحبَّة لكل من نطق بالشهادتين وأحبَّ أهل البيتعليهم السلام وعمل بما أمر به الرسولﷺ من طاعتهم حيث يأمن الناس من يده ولسانه.

الثاني: ليكن من المعلوم لهذا الشيخ الكاتب للرسالة ولغيره: أنَّ الدعوة لنقد بعض الصحابة، أو وضع أعمالهم على مائدة التشريح ليس فيه منقصة لكل الصحابة، بل حتى بالنسبة للصحابي الذي تحقق صدور الخطأ منه ثمَّ تاب عنه[2].

فإنَّا لا نتحسَّس من أحد لشخصه وذاته مستقلةً عن أفعاله والمحيط الذي كان ينطلق منه في تصرفاته، بل إنَّ النقد أو الدراسة الفاحصة لحياة أحدهم ليست إلا لما صدر منه من أفعال مخالفة

(١) والشواهد على هذا كثيرة: فهي تبدأ من تكفير شيخهم محمد بن عبد الوهاب لكل من خالفه في الرأي حتى أخيه الشيخ سليمان، وانتهاءاً بالشيخ الألباني الذي قد أيَّدوه لمدة من الزمان، ثمَّ كفَّروه، وذلك لمجرد أن ناقش في أسانيد بعض الروايات، وكذا سمعنا أنَّهم قد كفَّروا الشيخ حسن فرحان المالكي لمجرد أن قام بمناقشة بعض القضايا العقديَّة والتاريخيَّة المسلَّمة عندهم، وهكذا منصور النقيدان حديثاً، وغيرهم كثير.

(٢) كما في الجُلاس بن سويد فإنَّه أخطأ، وقال كلمة الكفر مشتبهاً، فنزل القرآن مُلَوِّماً له فتاب وحسن إسلامه.

لإرادة اللّه. وللزوم الطاعة للنبي ولأولياء الله المأمورين بطاعتهم في الآية القرآنيَّة: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُم...﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[2].

وكل ذلك لأجل الحفاظ على من ننقل عنه الأحاديث النبويَّة.

وهل في تطلبنا الحفاظ على ذلك غضاضة ؟.

الثالث: لم يشر هذا الكاتب لما صدر عن أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام من كلمات في مدح الصحابة وصحبتهم للرسول ﷺ، سواء في نهج البلاغة أو في كلمات أخرى، وكذا ما كان في الصحيفة السجاديَّة و الروايات المتناثرة هنا وهناك، وهي معتقدنا في الصحابة الطيبين الذين أحسنوا الصحبة رضوان الله عليهم.

و ما مرَّ حول ما ورد من آيات تشير لمدح الصحابة، فقد قلنا هناك بأنَّ مدحها مدح جمعي، لا أنَّه مدح للجميع واحداً واحداً، ومثل هذا المدح لا نمنع منه بل نُقِرُّه.

كيف ؟ ومنهم مَنْ هو مِنْ خَوَاصِّ النبي وأمير المؤمنين عليهما السلام، وقد أبلى مع الرسول ﷺ بلاءاً حسناً، ومات على ما مات عليه

(١) النساء: ٥٩.

(٢) الحشر: ٧.

رسول الله ﷺ. كسلمان المحمدي، والمقداد بن عمرو، وعمّار بن ياسر، وأبي ذر الغفاري، وأمثال خبّاب بن الأرت، وعثمان بن حنيف وأخيه سهل بن حنيف حبيب رسول اللّه، والمفدي بنفسه في المغازي كلها نفس رسول اللّه ﷺ، وأبو دجانة الأنصاري، والمرقال هاشم بن عتبة، وخالد بن سعيد بن أبي عامر خامس من أسلم، وحذيفة بن اليمان، وخزيمة بن ثابت، وجابر بن عبداللّه الأنصاري، وقيس بن سعد بن عبادة، وأبي أيوب الأنصاري، ومالك بن الأشتر النخعي، والبراء بن عازب، وعبادة بن الصامت، ومالك بن نويرة.

و الكثير من الصحابة الذين وفوا بما عاهدوا الله عليه، وماتوا على ذلك، وما بدّلوا بعد وفاته فضلاً عن حال حياته.

الرابع: لقد لاحظنا كثيراً ـ من هذا الكاتب ومن غيره من الكتّاب ممّن اتخذ اسم السنّة شعاراً ودثاراً ـ أنّهم يتشبثون من الآيات بما يوافق هواهم وآراءهم، ويقومون باستبعاد كل آيةٍ فيها إشارة أو تلميح بفضل علي ؑ وأهل بيته ؑ، وكأنّهم قد وقفوا أنفسهم على استمرار عمليّة التعتيم على فضائلهم ومناقبهم، وما ورد في حقّهم من قِبَلِ النبي ﷺ، وهو ذلك العمل الشنيع الذي قام به معاوية، وجرت سُنَّة الدولة الأمويّة عليه، وكأنَّ هذه الأحاديث ليست صادرة عن النبي ﷺ، أو أنّها لا تمُتُّ إليهم بصلة على الإطلاق، وأنّهم ليسوا أهل بيت نبيهم

صلوات الله عليهم أجمعين !!.

بل يحاول هذا الكاتب ـ مثلاً ـ أن يعتمد على إحياء الدعوة القديمة من مقولة: «حسبنا كتاب اللّه». فهو يرفع شعارها هنا منادياً بترك كل الروايات والكتب المتعلقة بتفسير الآيات، والاكتفاء بالقرآن.

ويا ترى: هل القرآن ـ على مرِّ هذه القرون الأربعة عشر ـ قد حلَّ كل خلافات المسلمين ؟ والتأمت كل كُلُومِهِم ؟ وسُدَّت كُلُّ ثغراتهم ؟

بل يترقى إلى القول بأنَّ كل تلك الروايات محض أساطير تاريخيّة[1].

وهو أمر غريب جداً من مثله. وهبْ أنَّها أساطير فهل مرويات الصحاح أساطير أيضاً؟

سلَّمنا ذلك في غير الصحيحين. ولكن ما تقول في الصحيحين؟ فهل رواياتهم أساطير ؟ أو تقول: قد دُسَّت فيها ؟ ومَن الذي دسَّها، وقد طُبِعَت في مطابعكم ؟

والغرض من كل هذا ليس بيان اعتبارنا لمثل هذه الكتب، وإنَّما لأجل إلزامهم بما رووه. وفيما لو كانت الروايات التي ننقلها تتحمل كلمة كفر أو وصفٍ مشينٍ لبعض الصحابة، فهو ليس

---

(١) صحبة رسول الله ﷺ: ص ٣٤.

منّا، بل من رواياتهم الموجودة في كتبهم، وناقل كلمة الكفر ليس بكافر.

فالعجب أنّهم يُكَفِّرُون الناقل في حين أنّهم يلتزمون بعدالة الراوي والمؤلف فضلاً عن إيمانه، فما لكم كيف تحكمون ؟

ولا يقف هذا الشيخ وأمثاله من الكتّاب عند هذا الحد، بل تراهم يعتبرون بالرجل ويوثقونه ويروون عنه مادام لم يروِ فضيلةً لأهل البيتعليهم‌السلام، وبمجرد روايته لفضيلة في أمير المؤمنينعليه‌السلام يُضَعَّف، ويرمى بالمخازي وما يتنزه اللسان عن ذكره.

وأمّا من يروي طعناً في علي ـ وهو من وضعه أو وضع مَنْ سَبَقَه في الرواية ـ فهو مُقَدَّم عندهم، وممَّن يُسْكَن إليه في الرواية، وممَّن ثبتت وثاقته وعدالته.

فقد رووا عن عمران بن حطّان المادح في شعره لعبدالرحمن ابن ملجم قاتل أمير المؤمنينعليه‌السلام، روى عنه البخاري ومسلم، وأخرجوا عن المغيرة بن مُقَسّم كما وثّقه الذهبي، مع أنّه كان يحمل على علي[1].

وكذا أُخرجوا عن قيس بن أبي حازم مع أنّه يحمل على علي[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٦ / ١٢.

(٢) المصدر نفسه: ٤ / ١٩٩.

وأخرج مسلم والأربعة عن الفأفأ في حين أنَّ الذهبي نصَّ على كونه ناصبياً[1].

كما أخرجوا عن حريز شيخ البخاري مع أنَّه كان يلعن علياً عليه السلام في كل يوم سبعين مرَّة؛ لعنه الله وأخزاه.

فيا عجباً! كيف يكون الناصبي عادلاً وراوياً للسنَّة عن النبي صلى الله عليه وآله.

والحبل في هذا المسار طويل جرَّار لا نهاية له عندهم.

الخامس: ليس من الإنصاف والعدل ـ أيها الكاتب ـ أن تأمر بالتأمل في آيات القرآن، في حين أنَّك تمنع لحاظ الروايات المفسِّرة لتلك الآيات، وهل المفسِّر والمبيِّن لما أنزل إلا النبي صلى الله عليه وآله؟ وكيف نعرف تفسير القرآن إذا لم يبينه لنا الرسول ومَن عيَّنهم الله عزَّ وجلَّ ورسوله صلى الله عليه وآله لحفظ القرآن وبيانه وتوضيحه للناس؟

فإنَّ معرفة ناسخه من منسوخه، ومجمله من مبيَّنه، و عامِّه من خاصِّه، ومطلقه من مقيده، ومكيِّه من مدنيِّه؛ كل تلك الأمور مرهونة بمعرفة النبي وأهل بيته عليهم السلام حقَّ المعرفة.

وأمَّا مع الانحراف عنهم، وعدم العمل بقولهم، وعدم الاهتداء بهديهم، فهو عين الضلال المذموم في القرآن، وفي الروايات. ولم يكن ذلك الفعل من المتقدمين إلا حسداً وبغضاً لهم عليهم السلام بما

(1) المصدر نفسه: 5 / 374.

أعطاهم الله من فضله.

وقد مرَّ علينا سابقاً ما صنع النبي مع أمير المؤمنين من مناجاته له الطويلة، فغضب بعض القوم وقالوا له: ما لك أكثرتَ مناجاة ابن عمك دوننا؟ فقال: ما أنا ناجيته ولكنَّ الله انتجاه.

كما أنّنا نقرأ في التاريخ صورة واضحة من الحسد؛ يحكيها ابن عباس من حديثه مع عمر بن الخطاب أيام خلافته. فقد قال عمر لابن عباس: إنَّ قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوّة والخلافة فتذهبون في السماء بُذَّخاً وشمَّخاً. لعلَّكم تقولون: إنَّ أبا بكر أراد الإمرة عليكم وهضمكم؟ كلا؛ لكنَّه حضره أمرٌ لم يكن عنده أحزم ممّا فعل. ولولا رأي أبي بكر فيَّ بعد موته لأعاد أمركم إليكم. ولو فعل ما هنّأكم مع قومكم. إنّهم لينظرون إليكم نظر الثور إلى جَازِرِه[1].

وعلى هذا. فما ذكره هذا الكاتب في ختام رسالته من إمكان اجتماع حبّ النبي والآل مع حبّ الصحابة في قلب واحد. فهو ممنوع من جهة، وجائز من جهة أخرى:

أمّا جهة منعه فهي منع الإطلاق فيه. فإنَّ حب النبي والآل ﷺ والصحب الكرام لخصوص الذين صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه. و وفوا بذلك العهد، وماتوا على ذلك. هذا من الأمر المرغوب في

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ١٩٠

تحصيله من المؤمن. ولكن ليس كل الصحابة ممَّن يجب حبُّهم كحبِّ النبي والآل، فإنَّ منهم من بدَّل وغيَّر وحرَّف. فهل نحبُّهم كما نحبّ النبي والآل ﷺ؟

هذا ما لا ترضاه لنفسك فكيف ترتضيه للناس؟

وأمَّا جهة الجواز: فهي حبّ الصحابة الذين لم يؤذوا النبي بل ناصروه، ولم يفرّوا، ولم يخذلوه أمام المشركين والكفار. وماتوا على ذلك، فهؤلاء هم الصحابة بحقٍّ. فليس من الممتنع أن يجتمع حبُّهم مع حب النبي والآل الكرام.

فنحن نحب الله والنبي وأهل البيت والصحابة كسلمان والمقداد وأبي ذرٍّ وعمَّار وخبَّاب والبراء والمرقال ومالك بن نويرة و..و...، وهم من الصحابة. وإن كان حبُّنا لأهل البيت ﷺ لا يقاس به حب من عداهم من الخلق أجمعين[1].

وعلى كل حال، فلم يَحِد هذا الكاتب عن سيرة سلفه، بل مشى على طريقتهم، وسار على هديهم، من الانحراف عن نهج أمير المؤمنين ﷺ. وليس يغرُّنا أو يُغَرِّر بنا أن كتب في غلاف كتابه كلمة لأمير المؤمنين، فإنَّها كلمة حق أراد بها ـ هذا الكاتب ـ باطلاً.

---

(١) فأصل الحب للنبي والآل والصحابة الذين وصفناهم بالصفات الحسنة مرغوب فيه ومطلوب. وأمَّا التسوية بينهم في الحب والولاء والطاعة فهو أمر آخر.

وكذا ليس ممّا يوجب رفع عذره أن يقول بأنّه يحبُّ علياً. فإنَّ للحب علامات وإشارات، لا نجد شيئاً منها على وجه كتابه، فضلاً عن تصرفاته وسائر أحواله. بل المُطَّلِع على حاله يرى العكس من ذلك. أعاذنا الله من سوء المنقلب. واللّه العاصم من كل سوء.

السادس: من الواجب علينا التنبيه على أمرٍ وهو: ضرورة توجه الأخوة المؤمنين والأخوات المؤمنات إلى من يحاول ـ في مثل هذه الأيام ـ أن يمزج السُّمَّ بالعسل. فيخلط كلامه السيّء المُبَطَّن بكلام ظاهرُهُ حسنٌ. كمن يمزج دعواه الباطلة برهاناً ووجداناً بكلمة لأمير المؤمنين تحتمل أكثر من تفسير وأكثر من معنى. حتى لَيَظُنُّ القارىء له أنّه كلام كلُّه حق ويراد به الحق. فيسير وراء الكلمات دون علم. بل بغفلة عن حقيقة الأمر. جاهلاً إلامَ توصله؟ وفي أي نَفَقٍ مظلم تدخله؟ فتتوارد عليه الشُبَه من هنا وهناك في عقيدته وفي مبادئه الحقّة. التي كرَّس أهل البيت عليهم السلام حياتهم كلها لتأسيسها وبيانها لشيعتهم أيدهم الله.

ثمَّ يبدأ في طرح هذه الشُبَه في كل نادٍ يرتاده. وكأنّها فاكهة المجلس. فيسري سَمُّهَا إلى آخرين غيره دون أن يلقوا جواباً لها. وذلك لأنَّهم لا يطرحونها على أهل العلم ممَّن تخصصوا في هذا العلم.

فلابدَّ للمؤمنين والمؤمنات قبل أخذ الكتاب ـ أيّ كتاب كان ـ

أن يسألوا أهل العلم عن محتواه وآثاره. وبعد قراءته ينبغي على القارىء له أن يعرض ما فهمه. وما انتقش في ذهنه على المختصين في العقيدة، قبل أن يلوكه بلسانه، في كل مجلس ومنتدى.

ومما يؤسف له ما وقع من الكثير من الناس ممَّن وردوا على هذه الوسائل الإعلاميَّة الحديثة، مع التفاتهم إلى أنَّها تحمل إعلاماً موجَّهاً مشوهاً من قبل أعداء الله ورسوله. يهدف في كثير من أطروحاته إلى بثِّ السموم في عقول الشباب. كل ذلك بعناوين خدَّاعة كالحريَّة في التعبير. وحريَّة الرأي. والبحث عن الحقيقة. ومثل هذه العناوين البرَّاقة. والجذَّابة. التي أخذت بمجامع قلوب الكثير ممَّن تاه وانجرف وراء تلك التيَّارات ولم يرجع. فخسر هو، وخسرت ساحة الإيمان بفقده خسارةً لا تعوض.

السابع: خلاصة نظر الشيعة الإماميَّة في الصحابة هو:

أنَّهم لم يفرضوا على أنفسهم قدسيَّة الصحابة ككل. بحيث يكونون في عزلة عن النقد والتجريح بعد التمحيص.

بل نظروا إليهم من حيث أعمالهم وسلوكهم، مع مقايسة تلك الأمور بالمقاييس والموازين الشرعيَّة والعقليَّة التي وصلت إليهم، وقام البرهان عليها.

فمن ثبت من الصحابة أنَّه قد حفظ العهد ولزم الحق واجتهد في اتباع الرسول والسير على نهجه في عقيدته وسلوكه، ولم يزغ عن ربّه، فقد استحق التعظيم والتبجيل، بل الموالاة والتقديس، إذ

بهم قام عمود الدين، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِم الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُم تُوعَدُون *﴾[1]

وأمّا من نكث العهد، وفارق الحق، وغيّر، وبدّل، وانقلب على عقبه، فقد استحقَّ العذاب والوبال والبراءة منه واللعنة عليه، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿والَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُم اللَّعْنَةُ وَلَهُم سُوءُ الدَّار﴾[3].

أقول: هذا القول خاتماً به مقالي هذا، راجياً أن يصل إلى الكاتب وغيره من القرَّاء، فيقرأوه قراءةَ المتأمل المتأني، وليكن رائدهم طلب الحق أنَّى كان، دون حميَّة أو هوى أو تقليد أعمى أو عصبيَّة جاهليَّة، بل الحق أحق أن يتبع.

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

---

(١) فصلت: ٣٠.

(٢) الفتح: ١٠.

(٣) الرعد: ٢٥.

فهرس المحتوى

حقيقة الصحبة وتعريف الصحابي:........................ ٦

الصحبة في اللغة: ٦

الصحبة في الاصطلاح: ٦

الصحبة في الاستعمال: ١٠

الخلاصة ٦٠

الموقف الأوّل: ما يتعلّق بمعركة بدر: ٦٢

المقطع الأوّل منها: خروج المسلمين للحرب ٦٣

المقطع الثاني: أجواء المعركة وما بعدها ٦٥

المقطع الثالث: لا نغالي.. حكمٌ وحكم ٦٦

المقطع الرابع: قضية الأسرى ٦٨

المقطع الخامس: صورة من المعركة ٦٩

الموقف الثاني: ما يتعلّق بمعركة أحد: ٧٠

المقطع الأوّل: مقدّمات المعركة: ٧١

المقطع الثاني: خديعة الاعلان عن موت النبي٩ .... ٧٣

المقطع الثالث: غلبة المسلمين لولا... شواهد بلسان ٧٤

الفارّين ٧٤

المقطع الرابع: القرآن يتحدّث عن الفارّين ٨٠
المقطع الخامس: ردّة الفعل المعاكسة ٨٢

الموقف الثالث: ما يتعلق بمعركة الخندق: ٨٤
المقطع الأوّل: صور من نعم الله عزّوجلّ ٨٤
المقطع الثاني: وكان عهد الله مسؤولاً ٨٧
المقطع الثالث: من الذي لم يؤمن واقعاً؟! ٨٨
المقطع الرابع: من آمن وصدّق وآزر؟ ٨٩
المقطع الخامس: بطل المعركة الخالد... .... ٩٠

الموقف الرابع: ما يتعلّق بصلح الحديبيّة: ٩٢
المقطع الأول: الفتح المبين إرادة لله ونظر الصحابة ٩٣
المقطع الثاني: السكينة عامة أم خاصّة...؟ ٩٧
المقطع الثالث: بيعة الرضوان الأمل والمآل ٩٨
المقطع الرابع: من هم السابقون ١٠١

الموقف الخامس: ما يتعلّق بغزوة تبوك: ١١٢
شواهد من مشاهد........................ ١١٢

الموقف السادس: وهو ما يتعلّق بغزوة حنين: ١٢٨
خاتمة: ١٣٠